

جامعة مؤتة

عمادة الدراسات العليا

المقرنصات في العمارة الإسلامية في مصر في العصر المملوكي (دراسة معمارية فنية مقارنة)

إعداد الطالب

عبد الله فهد اللبابدة

إشراف الدكتور

طالب الصمادي

رسالة مقدمة إلى عمادة الدراسات العليا

استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة

الماجستير في الآثار قسم الآثار والسياحة

جامعة مؤتة، 2006 م

بسم الله الرحمن الرحيم



MUTAH UNIVERSITY

Deanship of Graduate Studies

جامعة مؤتة

عمادة الدراسات العليا

نموذج رقم (14)

إجازة رسالة جامعية

تقرر إجازة الرسالة المقدمة من الطالب عبد الله فهد اللبابده الموسومة بـــ:

المقرنصات في العمارة الإسلامية في مصر في العصر المملوكي: دراسة معمارية فنية مقارنة

استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في **الآثار.**

القسم: الآثار والسياحة.

	التوقيع	التاريخ	
د. طالب الصمادي		2006/5/10	مشرفاً ورئيسا
د.حمزة المحاسنة		2006/5/10	عضواً
د. سائده عفانة		2006/5/10	عضواً
د. جودت القسوس		2006/5/10	عضواً



عميد الدراسات العليا

أ.د. أحمد القطامين

MUTAH-KARAK-JORDAN
Postal Code: 61710
TEL :03/2372380-99
Ext. 5328-5330
FAX:03/ 2375694
e-mail: dgs@mutah.edu.jo sedgs@mutah.edu.jo
http://www.mutah.edu.jo/gradest/derasat.htm

مؤته – الكرك – الاردن
الرمز البريدي :61710
تلفون :03/2372380-99
فرعي 5328-5330
فاكس 03/2 375694
البريد الالكتروني
الصفحة الالكترونية

الإهداء

إلى والدي العزيزين وأبناء أخوتي، لجين وغيث وهاشم.

عبد الله فهد اللبابدة

شكر وتقدير

شكر إلى مشرفي الدكتور طالب الصمادي ، والى كل من ساهم في حصولي على هذه الدرجة العلمية.

عبد الله فهد اللبابدة

فهرس المحتويات

ق□مة الملاد□

المل□ □

المقرنصات في العمارة الإسلامية في مصر في العصر المملوكي
(دراسة معمارية دراسة مقارنة)

عبدالله اللبابدة

جامعة مؤتة، 2006

هناك الكثير من العناصر المعمارية ابتكرت في العصور الإسلامية والتي منها موضوع هذه الدراسة وهو عنصر المقرنصات في العصر المملوكي في مصر وجاءت الدراسة على النحو التالي:

في الفصل الأول تحدثنا فيه عن المعنى اللغوي والاصطلاحي لمعنى كلمة المقرنص، وجاء الفصل الثاني للحديث عن أصل هذا العنصر وأول مكان ظهر فيه حسب وتطوره عبر العصور الإسلامية من العصر الأموي حتى نهاية العصر الأيوبي، أما الفصل الثالث فقد أوردنا فيه أسباب سقوط الدولة الأيوبية وكيفية نشؤ دولة المماليك البحرية والبرجية.

و جاء الفصل الرابع مقسما إلى خمسة أبواب : الباب الأول ذكرنا فيه المقرنصات في العمارة المملوكية الدينية من قباب ومحاريب وغيرها و الباب الثاني أوردنا فيه المقرنصات في العمارة المدنية من حمامات وقصور وغيرها، والباب الثالث تحدثنا فيه عن وظيفة وجمالية عنصر المقرنصات. بينما خصص الباب الرابع للحديث عن أنواع المقرنصات.

وفي الباب الخامس ذكرنا فيه الأوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والدينية التي صاحبت العصر المملوكي. والفصل الخامس ضمناه الخاتمة والنتائج وتوصيات الباحث. ومن خلال هذه الدراسة توصلنا إلى عدة نتائج منها أن الفكرة الأولى التي نشاء منها هذا العنصر هي تحويل المربع إلى دائرة ثم تطور عبر العصور الإسلامية وتعددت أنواعه وأماكن تواجده.

Abstract

Stalactites in Islamic Buildings in Egypt in the Mamluk era
(Architectural Artist Comparative Study)

Abdullah AL- Lbabdah

Mu'tah University ,2006

The stalactite element has been considered one of the elements of Islamic architecture.

Thus this thesis concentrates on this architectural element through analysis and comparasion based on architectural sources and references , especially those dealt with Mamluk era in Egypt Therefore this work has been devided into five chapters :-

The first chapter talks about the linguistic and terminology meaning of the stalactite element.

The second one focusses on the origin of the stalactite and the place in which it first appeared, furthermore this chapter discusses its development through the Islamic Eras from the Umayyad era to the End of the Ayyubid Era. The third chapter concentrates on the fall of the Ayyubid state and the rise of the Mamluk state, the two parts (Mamluk Bahriyah and Mamluk Burjiah)

The fourth chapter is divided into five parts:-

The first one deals with the stalactite in the religious Mamluk building such as Dome, Pulpits, Mihrabs, Minarets, Archs, schools, and Khankawats.

The second one focusses on the stalactite in the civil Mamluk such as Palaces, Baths, Khans, Hospitals and Sabils.

The third part discusses the function as well as the beutifulity of the stalactite. The fourth part concentrate on the types and forms of the stalactite and the geometrical bases for their establishments. The fifth part dealt with the economical, religios, political and social circumstances of the Mamluk Era.

The fifth chapter discusses the results and recommodations that the present study reached. thus the conclusion reached is this study in that the stalactite element is an Islamic invention. for it was first found in the Umayyad architecture to transform the square form into a circular one, and then was developed through the Islamic Eras to become a decoration element.

الفصل الاول

المعنى اللغوي والاصطلاحي لكلمة المقرنص

1.1 المعنى اللغوي

يذكر أبن منظور في (لسان العرب) أن معنى كلمة مقرنص هـو، "قـرنس البازي، كرز أي سقط ريشه، وقرنس الديك، إذا فر من ديك آخر، والقِرناس بكسر القاف، شبه الأنف يتقدم من الجبل، والقُرناس بضم القاف، هو عرناس المغـزل أي صنارته، ويقال لأنف الجبل عرناس، والقرنوس، الخرز في أعلى الخف، والقرناس، شيء يلف عليه الصوف أو القطن ثم يغزل " (ابن منظور، 1977).

بينما ذهب الزبيدي إلى أن معناها اللغوي هو "عرناس المغزل، ويقال لأنف الجبل عرناس، والقرانيس، عثانين السيل وأوائله مع الغثاء، وربما أصـاب الـسيل حجرا فترشش الماء فسمي القرانس، سقف مقرنس، عمل على هيئة السلم، وقـرنس البازي أي سقط ريشه، قرنس الديك، إذا فر من ديك آخر، والقرنوس، الخرز فـي أعلى الخف" (الزبيدي، 1976).

ونجد معناها عند الزاوي " القرناس بالضم أو بالكسر، شبه الأنف يتقدم مـن الجبل، ومن النوق، المشرفة الأقطار كالقرنس، وعرنـاس المغـزل، والقـرانيس، عثانين السيل وأوائله مع الغثاء، وسيف مقرنس، عمل على هيئة الـسلم، وقـرنس البازي، إذا كرز وخيطت عيناه أول ما يـصاد، وقـرنص الـديك، فـر وقنـزع، والقرانيص، خرز في أعلى الخف الواحدة قرنوص أو هو مقدم الخف" (الـزاوي، 1982).

ويورد إبراهيم مصطفى في كتابه المعجم الوسيط أن معنى كلمة مقرنص هو "قرنس الديك، فرمن ديك يحارشه، قرنس السقف، زينه بخوارج منـه ذات تـدرج مناسب فهو مقرنس، والقرناس ما يلف عليه الصوف ليغزل، قرانيس أوائل الـسيل مع غثاء" (مصطفى، د.ت).

وقد بيّن الفيروزآبادي أن المعنى اللغوي لكلمة المقرنص " قرنص الديك، فر وقنزع والصواب بالسين، البازي، اقتناه للاصطياد، والقرانيص، خرز في أعلى الخف والواحدة قرنوص" (الفيروزآبادي، 1998).

ومن خلال البحث في (معجم تهذيب اللغة) وجدنا أن معنى كلمة مقرنص تعني "القرانيس، غرز في أعلى الخف واحدها قرنوص، ويقال للبازي إذا كرز قد قرنص قرنسة فهو مقرنص، وقال الليث قرنس البازي، إذا كرز وخيطت عيناه أول ما يصاد، قرنص الديك وقرنس، إذا قوزع من ديك آخر(الأزهري، 2001، 3).وبنفس المعنى لكلمة المقرنص أوردها اليسوعي في معجمه المنجد (اليسوعي، 1927).

ويعتقد أن كلمة المقرنص أخذت من اللفظة اليونانية (Kopvisa) والتي تعني كورنيس، بمعنى الطنف أو النتوء الخارج من السطح الموجود فيه (الثويني، 2005). ومن خلال هذا الاستعراض للمعنى اللغوي لكلمة المقرنص في المعاجم اللغوية نلاحظ وجود أمرين هما،-

1- أن بعض هذه المصادر والمراجع يذكرها بحرف السين والبعض الآخر يكتبها بحرف الصاد.
2- تعدد الآراء حول معنى المقرنص في المصادر والمراجع من خلال ذكر معنى لا يذكره كتاب آخر.

ويمكن إجمال هذه المعاني المختلفة لكلمة المقرنص فيما يلي:

أ- قرنس البازي، إذا كرز أو خيطت عيناه أول ما يصطاد، وإذا هرب من ديك آخر يقاتله، أو إذا سقط ريشه.

ب- القرناس بضم القاف أو بكسرها، شبه الأنف يتقدم من الجبل.

ج- القرانيس، عثانين السيل وأوائله مع الغثاء.

د- القرانيص، خرز في أعلى خف الجمل ومفردها قرنوص.

هـ- سيف مقرنس، عمل على هيئة أم السّلم.

و- القرناس من النوق، المشرفة الأقطار.





ح- سقف مقرنس، أي زيّنه بخوارج منه على شكل السلم.

مهما يكن شكل كتابتها فالمعنى مشترك تقريبا ومن خلال هذه المعاني نجد أن المعنى الأقرب حسب استخدامه في العمارة الإسلامية ومصطلحاتها هو تزيين السقف أو الجدران بخوارج منتظمة ومتناسقة في صفوف فوق بعضها البعض على شكل سلم أو على شكل خلايا النحل (قرص الشهد) تجذب انتباه الناظر وتترك عظيم الأثر في ذهنه لما لها من جمال المنظر وإخفاء الإلنتوءات والانتقال بين الجدران وإخفاء السطوح الملساء.

2.1 المعنى الاصطلاحي:

هو عنصر زخرفي من عناصر العمارة الإسلامية يشبه شكل المحراب الصغير إذا ما أخذ منفردا، أما إذا جُمع في صفوف متوازية ومنتظمة وفوق بعضها البعض فإن شكله يشبه خلايا النحل وقرص الشهد، وقد أُستخدم في بداية الأمر لغاية معمارية إنشائية وذلك من خلال تحويل الشكل المربع إلى الشكل الدائري حتى يتمكن البناء المسلم من بناء القبة فوقه حيث كانت المقرنصات توجد في زوايا المربع على شكل حنايا ركنية، ومثلثات كروية وهي عبارة عن مثلثات مقلوبة رأسها بالأسفل وقاعدتها مقوسة في الأعلى.

ثم تطورت المقرنصات على مر العصور الإسلامية وأصبح لها وظيفة أخرى وهي وظيفة زخرفية من خلال تزيينها للمباني الدينية في القباب والجدران والمحاريب وفوق النوافذ والأبواب والشرافات وعند التقاء السطوح الحادة والأعمدة والمآذن وكذلك المباني المدنية كالقصور والخانات والحمامات وغيرها، ثم تطورت المقرنصات في القصور التي ذكرناها سابقاً فزاد عددها وعدد صفوفها فأصبحت

توضع فوق بعضها البعض في صفوف كثيرة متوازية ومتناسقة لتؤدي الغرض الوظيفي الذي وجدت من أجله وما يلفت انتباه الناظر لها هو التجانس الشديد بين العناصر البنائية والعناصر الزخرفية (غالب، 1988).

وتعكس المقرنصات صورة في غاية الروعة والجمال من خلال التلاعب في درجات الضوء والظل نتيجة السطوح المقعرة والبارزة بين أجزائها ففي القبة مثلا يوحي منظر المقرنصات بحركة الكون وثبوت المكان كما في أحد قباب قصر الحمراء (الثويني، 2005).

وهناك أكثر من نوع من المقرنصات يمكن تصنيفها حسب شكلها أو البلد الموجودة فيه

ويمكن إجمالها في البلاد الإسلامية كالأندلس وبلاد فارس ومصر وبلاد الشام بـ:

1- المقرنص ذو المركزين، الشبيه بالعقد المخموس.

2- المقرنصات المدببة.

3- المقرنصات الكبيرة ذات المركزين.

4- مقرنصات بطن العقد.

5- المقرنصات المركبة.

6- المقرنص المتدلي أو ذو الدلايات.

7- المقرنص المخروطي.

(الثويني، 2005)

وعلى الرغم من تعدد أنواع المقرنصات إلا أنه في بعض الأحيان يتم الجمع بين هذه الأنواع في آن واحد معا، ويتكون المقرنص من مجموعة من الوحدات تختلف في أشكالها وهي على النحو التالي:

1- محاريب ملساء.

2- حنايا صغيرة أو مظلية.

3- أقواس أو عقود.

4- نوافذ أو كوى صماء أو مفتوحة.

5- دلايات.

6- أهرامات.

7- دوائر وأشكال مضلعة سداسية وثمانية الأضلاع.

[illegible] 1996 [illegible]

وأطلق الباحثون الأجانب على المقرنصات لفظة STALACTITES، (QTANAKTITAS)، " وهي كلمة يونانية تعني النوازل التي تنشأ في الكهوف الناتجة من إذابة الأحماض الموجودة في مياه الأمطار للصخور الكلسية الموجودة في الكهوف من خلال رشح قطرات المياه وتجمعها فوق بعضها البعض مع مرور الزمن تتشكل النوازل"(نظيف، 1989).

ويعتقد الباحثون أمثال جمعه قاجه أن تسمية المقرنص ذو الدلايات أخذت من هذه النوازل إذ أن أحد أنواع المقرنصات أخذ تسميته من هذه النوازل حيث يحتوي على أجزاء تتدلى من المقرنص نفسه نحو الأرضية تشبه النوازل فسمي المقرنص ذو الدلايات ولا تمثل هذه اللفظة إلا هذا النوع من المقرنصات ولا تشمل الأنواع الأخرى من المقرنصات(قاجة، 2001).

أما بالنسبة لأماكن تواجد هذا العنصر الزخرفي فقد كان في بداية ظهوره في العصر الأموي على شكل حنايا مقوسة في زوايا المربع للتحول من الشكل المربع الى الشكل الدائري ثم تطور في العصر العباسي والفاطمي والايوبي والمملوكي من خلال زيادة عدد الحنايا ووضعها في صفوف منظمة فوق بعضها وأول مثال عثر عليه للمقرنصات وجد في ايران (جورجان) في مدفن جنبادي كابوس الذي بني عام (397هـ/1006م) وكان يقتصر على القبة ومع مرور الزمن تطور عنصر المقرنصات من عنصر بنائي إلى زخرفي، وقد تعددت اماكن تواجد هذا العنصر منها.(لمعي، 1984)

1- القباب: توجد في المنطقة الانتقالية في القبة في زوايا المربع وأحيانا في رقبة القبة كاملة.

2- الأقواس: نجدها في بطن القوس تتدلى منه على شكل نوازل.

3- الأعمدة، وتوجد في تيجان الأعمدة لا جسدها.
4- المحاريب: توجد كزخرفة في أعلى المحراب وفي داخله.
5- المآذن: توجد أسفل الشرافات الموجودة في جسم المئذنة الخارجي وتتدلى تحت هذه الشرافات.
6- الأبواب والشبابيك: وتوجد فوق عتبات البوابات والشبابيك التي تزيّن مداخل المباني وواجهاتها.
7- الأروقة والجدران: توجد المقرنصات عند التقاء الجدران على خط واحد أي عند المناطق الانتقالية في المبنى والهدف من تواجدها هو إيجاد تجانس بين هذه الجدران وعدم تركها زوايا حادة مزعجة للنظر كما يقول المستشرق الفرنسي غوستاف لوبون " أن المسلمين يكرهون ما يحبه الإغريق من سطوح ملساء لذلك لجأوا إلى تزيين مبانيهم وزخرفتها بالمقرنصات والزخارف النباتية والهندسية" (الثويني، 2005) (AL-Asad, 1994).

وتختلف التسمية التي تطلق على هذا العنصر الزخرفي في البلدان الإسلامية فنجده يسمى المقربص في بلاد المغرب العربي والهلال الخصيب وبلاد فارس ونجده يسمى الدلايات في مصر ، وبلاد فارس(عبدالعليم،2003).

أما بالنسبة لمادة البناء المستخدمة في تنفيذ المقرنص فتختلف بإختلاف البيئة أي حسب مواد البناء المتوفرة فيها من حجارة وخشب وغيرها، فنجدها في بلاد فارس وبلاد الرافدين قد بُنيت المقرنصات من الطوب المشوي (الآجر)، وفي بلاد الشام استخدمت الحجارة وفي العصور الإسلامية اللاحقة استخدمت مواد جديدة مثل الخشب والجص حيث جاءت سقوف البيوت والشرافات الخارجية وخوفا عليها من حرارة الشمس والأمطار اضطروا إلى طلائها بمادة الدهان لعزلها عن الظروف الخارجية لإطالة عمرها كما استخدم الخزف في إيران في مسجدي الجمعة والشاه في أصفهان (قاجة، 2000).

الفصل الثاني

المقرنصات في العمارة الإسلامية

1.2 أصل المقرنصات

يذكر الباحث الثويني نقلا عن (ريفيرا) ان الرومان هم أول من استخدم المقرنصات في قباب عمائرهم ومبانيهم التي تركوها في سوريا، ويذكر الثويني باستناده إلى (روزنتال) أن الفضل في اكتشافها يعود إلى الآشوريين (الثويني ، 2005).

بينما يذكر صالح لمعي أن المقرنصات لا تعود إلى ما قبل العصر الإسلامي ويدعم ذلك بوجودها في مدفن جنبادي كابوس في ايران (397هـ/1006-1007م) وإن أقدم مثال لها في مصر هو في مسجد الجيوشي الذي بناه الوزير بدر الدين الجمالي (لمعي، 1984) (الأرمني الأصل) سنة (478هـ / 1085م) وبناء" على ذلك ذهب لمعي إلى أن المقرنصات وصلت إلى مصر من أرمينيا عن طريق الوزير بدر الجمالي بينما يذكر أبو صالح الألفي أنها وجدت في جامع أحمد بن طولون في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي على شكل صفين (الألفي، 1974).

الباحث عبد الرحيم غالب يبيّن أن أقدم الآثار وأروعها جمالا التي استخدمت فيها المقرنصات مسجد الجمعة في أصفهان والذي بناه السلطان ملك شاه السلجوقي عام (465هـ/1073م) ولا يستبعد ان أصولها تعود إلى قرنين/ أو ثلاثة قبل بناء المسجد الذي يعود للقرن الخامس الهجري (غالب ، 1981).

ويقول حيان الصيداوي صاحب كتاب (الإسلام وفئوية تطور العمارة العربية) إن أصل المقرنصات وأقدم الآثار المكتشفة هي في نيسابور والتي تعود للقرن الثاني الهجري /الثامن الميلادي(صيداوي، 1992).

ويذهب قتيبة الشهابي إلى أن أصل المقرنصات يعود إلى بـــلاد فـــارس دون ذكـــر التاريخ، وأنها تطورت وبلغت ذروتها في القرن الخامس الهجري/ الحـــادي عـــشر الميلادي(الشهابي ، 1996).

ويؤيده في ذلك الدكتور جمعه قاجة حيث يذهب إلى نفس الاستنتاج.

ويؤكد أحمد فكري أن العرب قد استفادوا من تجارب الحضارات التي سبقتهم في بناء القباب والمقرنصات، ولذلك فهو يعتبر أن أقدم اثر إسلامي وجدت فيه هـــو قبة محراب مسجد القيروان في تونس التي بنيت في عهد الخليفة العباسي المعتصم سنة (221هـــ / 836م) ثم انتشرت بعد ذلك في شـــمال افريقيـــة (فكـــري، 1965).

في حين يذهب الباحث توفيق عبد الجواد إلى أن أصل المقرنصات يعود للقرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي ثم تطور مع مرور الزمن، وأن ذروة تطور هذا العنصر كان في قصور الحمراء في الأندلس والتي يعود تاريخها إلى القرن الرابع عشر الميلادي(عبد الجواد ، 1970).

أصل المقرنصات وبدايتها كانت في زوايا المربع على شكل حنايا ركنية وضعت لغاية معمارية وهي الانتقال من الشكل المربع إلى الشكل الدائري تمهيدا لبناء القبة فوقها، وهذه الحنايا أطلق عليها اسم المقرنص ثم تطورت فأصبحت عناصر زخرفية وزاد عددها وعدد حطاتها وأصبحت توضع في كل مكان في البناء يـــسمح بـــذلك بعض الباحثين أمثال كامل حيدر لا يعتبر هذه الحنايا مقـــرنص حـــسب تعـــريفهم للمقرنص فهم يعرفونه على أنه يتكون من ثلاث حنايا على الأقل حنيتين بالأســـفل وواحدة في الأعلى وهو المقرنص البسيط من هنا يجب التمييز بين أمرين هما:-

1- هل المقرنص هو الحنية الركنية في زاوية المربع؟

2- أم أن المقرنص هو الذي يتكون من ثلاث حنايا على الأقل؟(حيدر، 1994)

ولكن السقف المقرنص هو الذي زيّن بخوارج متدرجة علـــى شـــكل ســـلم والتدرج تعني أكثر من صف وحنية لكن معظم المباني وجدت فيها حنايا مقوســـة وأطلق عليها مقرنصات مع أنها حسب التعريف السابق لا تعد مقرنصات بل تعـــد الفكرة الرئيسية التي نتج عنها وتطور عنها عنصر المقرنصات(حيدر، 1994).

ولفظة مقرنص أطلقها الباحثون على هذه الحنايا وهي لفظة صحيحة لانهـــا تعد الفكرة الرئيسية التي تطورت لاحقا في العصر العباسي والفاطمي والايـــوبي والمملوكي لتصل الى ماهي عليه الآن لذلك يجوز اطلاق لفظة مقرنص عليها لأنها تعتبر بداية ظهور مقرنصات ، فهي أطلقت على الحلية المعمارية التي وجدوها في العمارة الإسلامية و لم يجدوا هذه الحلية المعمارية في مباني قبل الإسلام لذلك يجب البحث عن أصولها في العمارة الإسلامية (حيدر، 1994).

من هنا نجد أن العصر الذي بدأ فيه استخدام هذه الحلية المعمارية كعنـــصر معماري هو العصر الأموي ثم تطور واستخدم كعنـــصر زخرفـــي حـــسب رأي الباحثين أمثال جون هوك وصالح لمعي هي العصور الإسلامية التي جاء عنـــصر المقرنصات فيها على شكل حنايا مقوسة في زوايا المربع لتحويله إلى شكل دائري تمهيدا لحمل القبة ثم تطور في بلاد فارس وانتقل إلى باقي بلاد المسلمين، وأقـــدم الأمثلة التي استخدم فيها عنصر المقرنصات كعنصر زخرفي في مصر في جـــامع الحاكم بأمر الله الذي بني عام (379هـ/989م) ثم شاع فيها استخدام المقرنصات في المباني الدينية والمدنية في كل الأماكن التي تسمح ببناء المقرنص أما ما قبـــل هذه الفترة فهي على شكلين هما:- (لمعي،1984)

1- الحنايا الركنية المثلثة:

وهي عبارة عن المساحة التي تنشأ بين التقاء قوسين وتأتي على شكل مثلـــث مقلوب قاعدته بالأعلى ورأسه بالأسفل استخدم للتدرج من الشكل المربع إلى الشكل الدائري لحمل القبة (حيدر، 1994) .

2- الحنايا الركنية المقوسة:

وهي كتل على شكل أنصاف قباب تقع في زوايا المربع لتغيير شـكله إلـى دائري لتبنى فوقه القبة وتزخرف أحيانا بخطوط(تحزيز)(حيدر،1994)(الشكل 2). وهذين الشكلين هما الفكرة الأولى التي تطورت منها المقرنصات ووصلت إلى ما هي عليه الآن وكانت وظيفتها معمارية بحتة وهي تحويل المربع إلى دائرة أو مثمن تمهيدا لحمل القبة التي لا يمكن بنائها على المربع مباشرة.

تشير معظم الدراسات السابقة إلى أن المقرنصات عبارة عن عنصر معمارية انتشرت خلال العصور العباسية والفاطمية وتطور الى زخرفـي، وتميـزت بهـا العمارة الإسلامية ولم يسبقهم إليها أحد وتسجل للفن الإسلامي دون غيره (الثويني، 2005).

يذكر المستشرق الفرنسي غوستاف لوبون أن العرب يكرهـون مـا يحبـه الإغريق من الأوجه الملساء عندما تلتقي مع بعضها والأشـكال القائمـة، فكانـت رغبتهم في ملء زوايا الجدران القائمة ووصل القباب المستديرة بما تقوم عليه مـن الرقبة المربعة الشكل. وينشئون الكوات الصغيرة الناتئة المثلثة الكرويـة المـسماة بالمتدليات لتتدلى بعضها فوق بعض كخلايا النحل،(حيدر، 1994).

وقد استعملت المتدليات في صقلية (إيطاليا) منذ القرن العاشـر والحـادي عشر للميلاد حيث وصل هذا العنصر المعماري الإسلامي إلى أوروبا عن طريـق الأندلس وبالتالي فهو عنصر معماري زخرفي عربي إسـلامي، وحـوّل مـسلموا الأندلس تجويفاتها الكروية إلى محاريب قائمة ذات وجوه مقعرة (الثـويني،2005).

2.2 المقرنصات في العصر الأموي

استخدمت المقرنصات في العمارة الأموية كمثلثات كروية للتحوّل من الشكل المربع إلى الشكل الدائري تمهيدا لحمل القبة، ومثال ذلك في قصير عمرة الذي يعود تاريخ بنائه إلى عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك ما بين(86 – 96هـ/705 –715م)

وتمثل استعمالها في الغرفة الساخنة المغطاة بقبة نصف كروية محمولة على أربـــع مثلثات كروية(يحيى، 2002) (الشكل 3 ،المخطط1).

3.2 المقرنصات في العصر العباسي

حكمت الخلافة العباسية البلاد الإسلامية بعد سقوط الخلافة الأمويـــة ونقلـــت العاصمة من دمشق إلى بغداد وقاموا بإعمارها ومن أشهر مبانيهم التي اســـتخدمت فيها المقرنصات، قصر الأخيضر في العراق والـــذي بُنـــي علـــى الأرجـــح عـــام (159هـــ / 775م) على شكل تجاويف مخروطية لتحويل المربع إلى شكل دائري لبناء القبة فوقهـــا (Hillenbrand,1994)(يحيـــى، 2002) (الـــشكل4، مخطط2).وقصر الجوسق الخاقاني الذي بُني في عهد الخليفـــة المعتـــصم(218-227هـــ /833-842م) بعد تأسيسه لمدينة سامراء وذلك في القبتين اللتين يقعن بعد العقدين الجانبيين وهن محمولتان على تجاويف على شكل محاريـــب مقوســـة(يحيى ، 2002)(مخطط3).

كذلك اســـتعملت المقرنـــصات فـــي الأضـــرحة العباســـية منهـــا ضـــريح (القبـــة الـــصليبية) فـــي ســـامراء والـــذي بنـــاه الخليفـــة المنتـــصر بـــالله (247-248هـــ/861-862م) بطلب من أمه، وقد استعملت المقرنصات فـــي هذا الضريح على شكل طاقات مفردة في تحويل المربع إلى دائـــرة لبنـــاء القبـــة (سامح، 1987) (مخطط4).

كما استخدمت المقرنصات في مسجد أحمد بـــن طولـــون الـــذي بنـــاه ســـنة (263- 265هـــ/876 - 878 م) في الفسطاط، وذلك كصفين من المقرنصات والغرض منها تحويل المربع إلى دائرة تمهيـــدا لحمـــل القبـــة (الألفـــي، 1974) (الشكل 5، مخطط5).

المقرن في عمارة شمال فريقية:

استخدمت المقرنصات بشكل واضح في العمارة الإسلامية في شمال أفريقية كما في باب مسجد القيروان الذي بني عام (50هـــ/70م) ،على يد الصحابي عقبة

بن نافع في مدينة القيروان، وقد تعرض الجامع بعد ذلك إلى العديد من التوسعات. شكل الجامع مستطيل غير منتظم، له خمس قباب، ومئذنة مربعة الشكل، ومحراب تعلوه قبة ترتكز على أربعة حنايا مقوسة في زوايا المربع (سامح، 1982أ، ؛ عكاشة، 1994) (الشكل6، المخطط6).

4.2 المقرنصات في العصر الفاطمي

تأسست الدولة الفاطمية في شمال إفريقية على يد عبدالله المهدي واتخذ لقب أمير المؤمنين وجعل مدينة القيروان عاصمة له سنة (297هـ /884 م)، ثم انتقلت إلى مصر في عهد الخليفة المعز لدين لله سنة (358هـ / 969م)، وقد شيد مباني كثيرة استعملت المقرنصات فيها كعنصر معماري وزخرفي معا منها، جامع الحاكم بأمر الله الذي بني عام (380هـ / 991م) الذي سُمي باسم الخليفة الحاكم والذي حكم (386 – 411هـ/ 996 –1020م) وقد وجدت المقرنصات في المنطقة الانتقالية بين المربع والمثمن على شكل حنايا ركنية في القبتين، وفي المئذنة الجنوبية في الجزء السابع منها على شكل صفين من المقرنصات تحت الشرفة وهذا يعد أول نموذج استخدمت المقرنصات فيه بمكان غير القبة، كما استخدمت في نفس الجامع في المئذنة الشمالية والتي تتكون من سبعة طوابق تلتف المقرنصات حول الطابق السابع بثلاث صفوف ثم تأتي القبة المضلعة (لمعي،1984 ؛ المحاسنه والصمادي ، أحمد، 2002) (الشكل7 ،مخطط7).

واستخدمت المقرنصات في ضريح السبع بنات الذي بني سنة (400هـ / 1010م) في مدينة الفسطاط لعائلة الوزير المغربي الذي قتله الخليفة الحاكم بأمر الله ولم يبقَ منها إلا أربع قباب من أصل سبعة واستخدمت كحنايا ركنية لتحويل المربع إلى دائرة لحمل القبة (الياور، 1987ب)[1](الشكل 8).

---

(1) ضريح السبع بنات سمي بذلك، لأنه يعود لسبع بنات من عائلة الوزير المغربي وكانت تسمى السبع قباب، أنظر الياور ص أ2[illegible]2.

واستخدمت المقرنصات في جامع الجيوشي الذي بناه أمير الجيوش بدرالدين الجمالي سنة(478هـ /1085م) حيث جاءت المقرنصات في المئذنة التي تتكون من برج مربع ينتهي بشرفة تتكون حافتها من صفين من المقرنصات، كما تحتوي رقبة القبة على حنايا ركنية(لمعي، 1984؛ سامح، 1991؛ أحمد، 2002)(الشكل9، مخطط8).

5.2 المقرنصات في العصر الأيوبي:

عندما تمكن صلاح الدين الأيوبي من القضاء على الخلافة الفاطمية سنة (567هـ / 1171م) عمل على نشر المذهب السني بدلا من المذهب الشيعي الذي كان شعار الدولة الفاطمية، فقام ببناء المدارس والمساجد ودور العلم وجاءت زخرفة المقرنصات في عمائر العصر الأيوبي كثيرة وواضحة الاستعمال مثل، قلعة صلاح الدين والتي بنيت سنة(571هـ 1175م) في القاهرة، وجاءت المقرنصات فيها على شكل مثلثات كروية في برج الصفة في الحجرة المربعة بالركن الشمالي لحمل القبة، وفي البرج المربع أحد أبراج الجهة الشمالية لحمل القبة وفي باب المدرج في الجهة الغربية (نويصر، 1996) (مخطط9).

واستخدمت المقرنصات في ضريح الإمام الشافعي الذي بناه الملك الكامل عام (608هـ/1211م)، وقد تعرضت القبة إلى العديد من الإصلاحات بعد بنائها، وجاءت المقرنصات في واجهة الضريح السفلى على جانبي الشباك حيث يوجد زوجان من المقرنصات، وكذلك على شكل مثلثات كروية في المنطقة الانتقالية لحمل القبة (سامح، 1989ب)(الشكل 10).

كذلك الحال في ضريح الخلفاء العباسيين والذي بني سنة(640هـ / 1242م) في القاهرة ويعتقد أن الضريح يضم ثمانية توابيت منها تابوت الخليفة أبي حنضلة هاشم بن السيد الحسيني المتوفى في نفس العام اضافة إلى تابوت الخليفة المستنصر بالله واثنين من أبناء السلطان بيبرس والخليفة الحاكم بأمر الله العباسي المتوفى عام (701هـ/1302م) فقد وجدت ثلاث صفوف من المقرنصات في المنطقة الانتقالية

ما بين الشكل الدائري والمربع وعقود المداخل في الواجهة الشمالية الغربية حيث غطيت بطون العقود بصفين من المقرنصات وفي زوايا الضريح حيث غطيت بأربعة صفوف من المقرنصات (Meineck,1992؛ نويصر، 1996) (الشكل11).

وفي المدرسة الصالحية التي بناها الملك الصالح نجم الدين أيوب عام (641هـ / 1243م) وجدت في واجهة المدخل الرئيسي في الفتحات الصماء التي تقع على جانبي المدخل(الشكل12) وفي قمة المئذنة التي حملت شرافاتها على صفين من المقرنصات (نويصر، 1996) (الشكل13) (مخطط10).

وفي ضريح الصالح نجم الدين أيوب الذي بني سنة (647هـ - 1249م) على يد زوجه شجر الدر وجدت المقرنصات فيه على شكل صفين في واجهته الشمالية وفي المنطقة الانتقالية أقيمت ثلاث صفوف من الحنايا الركنية تعلوها القبة (نويصر، 1996، 85- 95) (الشكل14).

كما استخدمت المقرنصات في المباني الأيوبية في دمشق بأشكال متعدد (مقوسة، دائرية ومركبة) كما هو الحال في بوابة جامع التوبة الذي بني في العقبية في سوريا على يد الملك الأشرف موسى الأيوبي عام (632هـ/1234م) (الشكل15) بوابة المدرسة الأتابكية التي بنتها تركان خاتون زوجة الملك الأشرف الأيوبي عام(640هـ/1242م) وتقع في حي الصالحية (الشكل 16) بوابة البيمارستان القميري الذي بناه الأمير سيف الدين قيمر (ت654هـ /1256م) أحد قادة الدولة الأيوبية(الشكل 17) (الشهابي، 1993ب؛ الشهابي، 1996أ).

الفصل الثالث

سقوط الدولة الأيوبية وقيام دولة المماليك

1.3 سقوط الدولة الأيوبية

قبل وفاة الملك العادل أعطى كل واحد من أبنائه منطقة يحكمها فأعطى الملك الكامل (515-636هـ/ 1218-1338م)عرش مصر والمعظم عيسى

(626-635هــ/1228-1337م)، عرش دمشق والقدس والكـــرك وطبريـــا وكان نصيب الأشرف إقليم الجزيرة وما حولها من البلاد التي تحت سيطرة الدولـــة الأيوبية(طقوش، 1999).

بعد ذلك حدث انقسام في البيت الأيوبي حيث تحالف الملك الاشرف موســـى مع أخيه الملك الكامل ملك مصر على أخيهما الملك المعظم عيسى حـــاكم دمـــشق الذي أستغل زيارة الملك الأشرف إلى مصر وزحف على أملاك أخيه ولكن الأخير زاد الخلاف حدة توفي عام (624هــ/ 1226م) وعهد بـــالحكم لأبنـــه الملـــك الناصر داود (635هــ/1237م) الذي طلب منه عمه الملك الكامل التنازل عـــن حصني الكرك والشوبك وعندما رفض ذلك سار الملك الكامل بجيشه إلى منطقة تل عجول في منطقة غزة في جنوب فلسطين يبحث مع الملك الإشرف الأمر فـــاتفقوا على إعادة تقسيم الدولة فسيطر الملك الكامل على معظم المملكة بينما حصل الناصر على دمشق وبعض المناطق التابعة لها، وعند قدوم الحملة الصليبية علـــى بيـــت المقدس عام (625هــ/1228) سلمّ الأيوبيون بيت المقدس للصليبيين فقرر الملك الكامل أعادة تقسيم البلاد من جديد على حساب الملك الناصر الذي رفـــض ذلـــك فاستعان الملك الأشرف بالملك الكامل للسيطرة على منطقته المقررة واستولى على دمشق، وفي عام(635هــ/ 1237م) حدث خلاف بـــين الملـــك الكامـــل وأخيـــه الأشرف حول وراثة حكم نيابة حلب، في هذه الأثناء توفي الملك الإشراف وخلفـــه أخوه الصالح إسماعيل فجدد المعارضة للملك الكامل الذي سار بجيشه إلى دمشق بمساندة الناصر داود نائب الكرك مقابل إعادته على عرش دمشق فاستسلم الملـــك الصالح إسماعيل وعاد إلى بصرى، ولم يفِ الملك الكامل للناصر داود بما وعـــده إياه وتوفي الملك الكامل في عام (636هــ/1238م) (توراو،2002).

فكانت وفاة الملك الكامل بداية تفكك الدولة الأيوبية وبقيت أوضاع بـــلاد الـــشام مضطربة بعد تولي الملك العادل الثاني حكم مصر، فاستولى الملك الـــصالح نجـــم الدين أيوب على دمشق عام(636هــ / 1238م)، ولم يدم ذلك سوى عام واحـــد وأثناء ذلك دخل في صراع مع أخيه العادل الثاني، وفي العام الذي يليه سيطر الملك

الصالح نجم الدين أيوب وعمه الصالح إسماعيل على دمشق وانتهت بسيطرة الصالح إسماعيل على دمشق، وفي مصر قام كبار الأمراء بعزل العادل عن الحكم وطلبوا من الملك الصالح نجم الدين أيوب تولي الحكم في مصر (637-647هـ/1239-1249م)(الزيدي ، 2003).

ثم ما لبث أن نشب الصراع بين الصالح نجم الدين أيوب وعمه الصالح إسماعيل وانتهت بهزيمة الصالح نجم الدين أيوب وحكم الصالح إسماعيل دمشق للمرة الثانية (637-642هـ/1239-1245م)، وهذا ساعد القوى الخارجية على محاولة السيطرة على مصر وبلاد الشام وهم الصليبيون والمغول والخوارزميون[1]. فحاول الصليبيون السيطرة على بيت المقدس وبلاد الشام لكنهم فشلوا فقام الملك الصالح إسماعيل بطلب المساعدة من الصليبين مقابل إعطائهم بيت المقدس مما أثار المسلمين فتوجه الصليبيون إلى مصر فألحقت بهم هزيمة قاسية ثم عقدوا صلح مع ملك مصر الصالح نجم الدين أيوب الذي تحالف مع الخوارزميين ضدهم، فزاد نفوذ الخوارزميين وسيطروا على بيت المقدس عام (642هـ / 1245م) (عاشور، 1976ب).

ثم لم يسمح الملك الصالح أيوب للخوارزميين بالبقاء في مصر خوفا من تمردهم وزيادة نفوذهم ومما زاد في استيائهم من الملك الصالح أيوب عدم دفعه ما وعدهم به من أموال، فثاروا عليه مع قائدهم ركن الدين بيبرس، وانضم إليهم الملك الصالح إسماعيل والناصر داوود، فحاصروا دمشق، لكن الملك الصالح أيوب تمكن من استدراج ركن الدين بيبرس وقتله واستمال أهل حلب وملك حمص عن طريق الحيلة إلى جانبه فالحق هزيمة بالخوارزميين، فأصبح الملك الصالح أيوب ملك مصر ودمشق وبيت المقدس(عاشور، 1976ب).

([2])هم أحد الفروع التي انشقت عن الدولة العباسية وشكلوا دولة بقيادة نوشتكين في منطقة ايران بعد سقوط الدولة السلجوقية هناك، أنظر العودات ص12-1.

بعد ذلك جرد الملك الفرنسي (لويس التاسع عشر) حملة صليبية على بيت المقدس ومصر وبلاد الشام فنزل الصليبيون دمياط فسيطروا عليها واحرقوا الأسواق فأعاد الملك الصالح تنظيم جيشه، فقرر الصليبيون التوجه نحو القاهرة، وفي هذه الأثناء توفي الملك الصالح مما سبب ضعف في الجيش فاستدعت شجر الدر زوجة الملك الصالح أيوب ابنه الوحيد توران شاه ليتولى وراثة العرش وحكممن عام (647ـ648هـ/1249-1250م) (عاشور، 1976أ).

بعد ذلك توجه الصليبيون نحو المنصورة وقتلوا قائد الجيش الأيوبي (فخر الدين)، ثم ظهرت فرقة من جيوش الأيوبيين من المماليك البحرية الذين كان ملوك الدولة الأيوبية يقومون بشرائهم وتشكيل جيش منهم (كما ذكرنا سابقا) بقيادة (بيبرس البنقداري الصالحي) فهجموا على الصليبيين وهزموهم في المنصورة، ثم وصل توران شاه إلى مصر وأعلن نفسه ملكا على مصر عام (648هـ /1250م)، لكنه لم يحسن معاملة المماليك ظنا منه أنهم سيقاسمونه الملك فأجمعوا على قتله وذلك بإيعاز من شجر الدر بذلك فقتلوا توران شاه في نفس العام، وكانت بداية لسقوط الدولة الأيوبية(العبادي،1969؛ زيتون،2001).

2.3 قيام دولة المماليك

لاستجلاء الصورة عن الظروف السياسية لظهور دولة المماليك، لا بد من الرجوع قليلا إلى الوراء للحديث عن اسباب سقوط الدولة الأيوبية، وظهور المماليك وتسلمهم زمام الأمور واعتلاء السلطة.

1.23 قيام الدولة المملوكية (البحرية)

لفظة مملوك تعني الرقيق البيض الذين كانوا يُستخدموا في الجيوش الإسلامية من أتراك وصقالبة وقد قام أمراء الدولة الأيوبية بشرائهم لتشكيل الجيش الخاص لحمايتهم وأشهر من استقدمهم الملك الصالح نجم الدين أيوب والذي شكل منهم فرقة سماها (البحرية) والتي قامت بهزيمة الصليبيين في المنصورة بقيادة (بيبرس

البنقداري الصالحي) فتمكنوا من الوصول إلى الحكم بعد قتلهم توران شاه، ونصبوا شجر الدر ملكة على مصر عام (648هـ/ 1250م)، وفي نفس العام تزوجت من المعز أيبك وتنازلت له عن السلطة، ولكن أهل دمشق (الأيوبيين) لم يعترفوا بحكم المماليك لمصر فعينوا الملك الأشرف موسى ملكا على بني أيوب في بلاد الشام، ثم جردوا حملة للسيطرة على مصر بقيادة الناصر يوسف عام (649هـ/1251م) لكنها فشلت فعادوا إلى دمشق (المقريزي، د.ت، ج2؛ الزيتون، 2001 ؛ الزيدي،2003).

ثم قدم خطر المغول من الشرق فأمر الخليفة العباسي المستعصم بالله الناصر بن يوسف(640-656هـ/1242-1258م) بمصالحة المعز أيبك لمواجهة المغول فاتفقوا على أن مصر للمماليك وبلاد الشام للأيوبيين (أبن تغري بردي، 1992، ج7).

فعاد المماليك البحرية يشكلون خطرا على حكم المعز أيبك، فقتل قائدهم (فارس الدين إقطاي) بعد أن أستدرجه إلى القلعة (قلعة التي بناها صلاح الدين)، فأغلق الأبواب عليه فهجم أتباع المعز عليه بالسيوف وقتلوه، فهرب المماليك البحرية إلى بلاد الشام، لكن زوجه شجر الدر حاولت قتل زوجها الذي تزوج ابنة بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ونجحت بذلك، وعندما سمع مماليك أيبك قاموا بقتلها وإلقائها من فوق أسوار القلعة عام (655هـ/1257م) (عاشور، 1976ب؛ زيتون، 2001).

بعد مقتل شجر الدر والمعز أيبك، أصبح العرش خاليا بدون سلطان فاختار أهل مصر نور الدين علي بن ايبك(655-657هـ/1257-1259م) ولقب بالمنصور يساعده الأمير سيف الدين قطز (657-658هـ/1259-1260م) فقام خلال فترة حكمه بالتصدي للحملة التي قام بها أمراء بلاد الشام وبعدها قام السلطان قطز بعزل نور الدين أيبك بحجة أنه لا يستطيع تدبير شوؤن البلاد لاسيما بعد سقوط الخلافة العباسية في يد المغول، واعتلى عرش السلطة عام (657هـ/ 1259م، المقريزي، د.ت، ج2) في هذه الأثناء سيطر هولاكو(649-663هـ/ 1251-1265م) على بلاد الشام فقتل أهلها وسلب ونهب كل شيء

فأرسل (بيبرس البنقداري) إلى قطز يخبره بالتحالف معه ضد هولاكو على أن يعطي قطز نيابة حلب إلى بيبرس فدارت بينهم معركة شهيرة هي معركة عين جالوت عام (658هـ / 1260م) انتهت بهزيمة المغول فبسط قطز سيطرته على مصر وبلاد الشام (عاشور، 1976 أ؛ زيتون، 2001).

لكن السلطان قطز لم يف بالوعد لبيبرس فقام بيبرس بقتله(658هـ /1260م) وسيطر على الحكم ولقب نفسه بـ (الظاهر) في نفس العام ، فسيطر على مصر وبلاد الشام وقضى على كل الثورات التي واجهته سواء في الشام أو في مصر كثورة علم الدين سنجر والي دمشق زمن السلطان قطز وثورة نائب الكرك عمر الأيوبي الملقب بالمغيث كذلك ثورة أنصار الخلافة الفاطمية في القاهرة وقام بإعادة احياء الخلافة العباسية وعين الخليفة المستنصر بالله أحمد الذي لم تدم خلافته سوى ستة اشهر (661هـ/ 1263م)،(عاشور، 1976 أ؛ السيوطي، 1988؛ زيتون، 2001).

وعلى الصعيد العسكري فقد قام الظاهر بيبرس بإنشاء البريد والجيش وبناء أسطول بحري وعمل على حماية حدود الدولة من خلال كسبه ود القبائل التي تسكن على الحدود بإعطائهم الهدايا والنقود وبعد هذه الإنجازات توفي الظاهر بيبرس في عام (676هـ / 1277م) بعدما أسس الدولة المملوكية ووسع حدودها وزاد نفوذها. (العبادي، 1969؛ توراو، 2002).

قبل وفاة السلطان الظاهر بيبرس(676هـ/1277م) ولى ابنه سعيد بركة العرش في نفس العام وأمر الأمراء بالحلف له بالولاء والطاعة، لكنهم بعد فترة وجيزة قاموا بعزله وتنصيب أخاه بدر الدين سلامش على العرش وتعيين المنصور قلاوون قائدا للجيش عام (678هـ /1279م) بعد ذلك أقنع الأمراء بصغر سن السلطان سلامش فنفاه إلى الكرك واستولى المنصور قلاوون على العرش (678هـ /1279م) (عاشور، 1976أ؛ حداد، 1993).

وعمل المنصور قلاوون خلال فترة حكمه على إخماد الثورات ضده في بلاد الشام كثورة نائب الشام الأمير شمس الدين سنقر، وقام بشراء مماليك وشكل فرقة

منهم قام بتدريبهم في الأبراج والقلاع وقاد حملات ضد المغول والصليبيين وعقد معهم المعاهدات (حداد، 1993).

وقبل وفاته سار على نهج من قبله من السلاطين، وحاول توريث العرش لابنه الأكبر علاء الدين، لكن الأخير مرض ومات قبل والده وكان ابنه الثاني (الخليل) غير مرغوب فيه لقسوته وعدم التزامه دينيا ، فتوفي والده قبل أن يعهد إليه بالخلافة، لكنه نصّب نفسه ملكا وتلقب بـ (الاشرف) عام (689هـ / 1290م) فقام بخلع الأمير حسام الدين طرنطاي نائب السلطنة زمن أبيه، وتعيين الأمير بدرالدين بيدرا [1] بدلا منه كذلك قام بفتح عكا التي كان يحتلها الصليبيون عام (690هـ/1291م) ولكن المؤامرات الداخلية لم تتوقف من حوله فاسقط عن العرش وقتل على يد بيدرا عام (692هـ / 1293م) (عاشور، 1976ب ؛زيتون، 2001).

ثم نصب بيدرا نفسه سلطانا، وحلف له الأمراء، لكن زين الدين كتبغا كبير مماليك الأشرف خليل ثار على بيدرا والحق به وبمماليكه هزيمة نكراء، بعد ذلك تنافس الأمير كتبغا والأمير علم الدين سنجر الشجاعي على السلطة انتهت باختيار الملك الناصر محمد بن قلاوون سلطانا للبلاد (عاشور، 1976 أ ؛ زيتون، 2001).

اعتلى الناصر محمد قلاوون العرش عام (693هـ /1293م) وكان عمره تسع سنوات وعيّن الأمير زين الدين كتبغا نائبا له، وعلم الدين سنجر الشجاعي نائب دمشق وزيرا له ثم ما لبث أن دب الصراع بين كتبغا وسنجر الشجاعي طمعا بالعرش فقام جنود كتبغا بقتل سنجر الشجاعي (الزيدي، 2003).

ولم يتوقف طمع كتبغا بالعرش وأقنعه بذلك حسام الدين لاجين[2] فقام بإقناع الخليفة العباسي الحاكم بأمرالله الأول (661-701هـ/1263-1302م) بعدم

([1]) بيدرا، هو بدر الدين بيدرا نائب السلطنة آنذاك، أنظر زيتون ص[illegible].

([2]) لاجين هو من شارك في قتل الأشرف خليل، أنظر زيتون ص2[illegible].

أهلية الناصر بالحكم فخلعوا الناصر وعيّن زين الدين كتبغا سلطانا على البلاد عام (694هـ / 1294م) وعيّن الأمير حسام الدين لاجين نائبا له لكن فترة حكمه شهدت مجاعة واضطرابات وارتفاع الأسعار فتشاءم الناس منه ومن حكمه لكن لاجين طمع في الحكم فدبر مكيدة لكتبغا عندما خرج لبلاد الشام فعلم بها وهرب إلى بلاد الشام واستولى لاجين على الحكم عام (696هـ / 1296م) وعين الأمير سيف الدين منكوتمر أحد مماليكه نائبا له على الرغم من كره الأمراء له فقاموا بقتل السلطان حسام الدين لاجين ومنكوتمر عام (698هـ/ 1298م)(عاشور،1976أ؛ السيوطي، 1988؛ ابن تغري بردي، 1992، ج8).

وبعد هذه الأحداث أصبح، عرش مصر خاليا فقام الأمراء باستدعاء الناصر محمد بن قلاوون من جديد عام(698هـ/1298م) وقد كان عمره أربعة عشر عاما وعيّن ابن أخيه موسى بن علي بن قلاوون أميرا والأمير سيف الدين سلار نائبا له والأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكيز استادارا[1] (المقريزي ، د.ت ، ج2) ،وخلال فترة حكمه هزم جيشه من المغول بعد أن احتلوا دمشق، لكنه عاد وانتصر عليهم في معركة (مرج الصفر) عام(702هـ / 1302م) كذلك تخلص الناصر قلاوون من الفتن الداخلية مثل فتنة الأعراب الذين عاثوا فسادا في مصر، وجرّد حملة بحرية ضد الصليبيين في طرابلس، وبعد وفاة والدة الناصر أحس بالحزن والذل، ومما زاد الوضع سوءا الصراع بين سلار وبيبرس فحاول التخلص منهما بعدما حاولا قتله، لكنه عاد وعفا عنهم، وقرر السلطان الخروج إلى الحج لكنه توجه إلى الكرك وترك العرش خاليا فقام الأمراء بتولية سلار العرش لكن لأمير سلار رفض وقال أن الأمير بيبرس أحق منه بالعرش فعيّن الأمير ركن الدين بيبرس

([1]) استادر، لفظة فارسية معناها وكيل المئونة، والمعنى الاصطلاحي لها في المجتمع المملوكي هو وظيفة من وظائف أرباب السيوف، أنظر إسماعيل ص□□.

سلطانا وسلار نائبا له وعفا عن السلطان الناصر وأعطاه نيابة الكرك عام (708هـ / 1308م)(موير، 1995؛ زيتون، 2001).

لكن أمراء بلاد الشام رفضوا حكم بيبرس وكتبوا إلى الناصر يلومونه على فعلته وكذلك بعض أمراء مصر ووعده بإعادته إلى العرش فخاف السلطان بيبرس من الأمر وقرر محاربة الملك الناصر لكنه عدل عن رأيه فتوجه الناصر إلى دمشق لاسترداد عرشه وسيطر على دمشق وعين الأفرم (الأمير عز الدين ايبك) نائبا عليها ثم سار إلى مصر وساعده في ذلك سوء الأوضاع الاقتصادية في مصر وغضب الناس على بيبرس وسلار فاجتمعا مع الأمراء وقرروا ترك عرش الدولة للسلطان الناصر للمرة الثالثة عام (709هـ/1309م) (عاشور،1976أ؛ أبن تغري بردي، ج8 ،1992).

فقام بالقضاء على الفتنة التي سببها بيبرس وسلار وذلك بقتلهما، وكذلك القضاء على المؤامرة التي دبرها(بكتمر الجوكندار) والي الشوبك سابقا نائب السلطنة التي تمثلت في محاولته تعيين موسى بن قلاوون سلطانا بدل الناصر ولكنه تمكن من إنهاء هذه الفتنة، وقضى على المؤامرة التي دبرها نائب دمشق(قراسنقر) والخرم نائب طرابلس عندما لجاؤا إلى المغول وطلبوا منه غزو بلاد الشام لكن المغول تراجعوا بعدما سار السلطان الناصر إلى دمشق، وعم الرخاء في البلاد ولكن بعد وفاة ابن السلطان (آنوك) حزن السلطان حزنا شديدا مما أدى إلى مرضه ووفاته في (741هـ/ 1340م) (المقريزي، ج2، د.ت؛ الزيدي،2003).

خلف السلطان سيف الدين أباه (الناصر) على العرش لكن الأمراء قاموا بقتله وتعيين أخاه (كجك) سلطانا والأمير قوصون يدير شؤون الدولة، لكن الأمراء سجنوا قوصون وعزلوا السلطان وعيّنوا مكانه الناصر أحمد الذي قام خلال حكمه بسرقة الخزانة المالية وهرب إلى الكرك ورفض العودة إلى القاهرة فعيّنوا مكانه أخاه الصالح إسماعيل ولم يدم حكمه طويلا حيث اغتصب السلطان شعبان بن الناصر العرش عام (746هـ / 1345م) فسادت الفوضى والفساد والفقر في فترة ولايته وقتل عندما خرج يريد الشام فطلب منه الجيش أموالا وعندما رفض إعطائهم

الأموال قاموا بقتله وخلفه على العرش أخوه حاجي بن الناصر عـــام(747هـــــ / 1346م) (عاشور، 1976أ).

وعيّن حاجي بن الناصر غرلو نائبا له وبذلك عاد النفوذ الشركسي من جديــد فتنافس الشراكسة والأتراك على المناصب في الدولـــة فـــأقنع الأتـــراك الـــسلطان بالتخلص من غرلو فعزله وقام الأتراك بعد ذلك بقتله بعدها أخذ السلطان ينعزل عن الأمراء فقاموا بسجنه وقتله (أبن تغري بردي،ج10، 1992).

ثم تنافس الأتراك والشراكسة بعد ذلك على الحكم فرشح الأتراك الناصر حسن ورشح الشراكسة الأمير حسين بن الناصر وفاز الأتراك واعتلى العـــرش الناصـــر حسن العرش عام (749هـــ / 1347م) فتقاسم الأتراك المناصب والإقطاعيات وتراجع سلطان الشراكسة، وعندما حاول السلطان الناصر التدخل في شؤون الحكم قام الأمراء بعزله وتعيين أخوه الصالح مكانه عام (753هــ /1351م) لكنهم بعد ذلك عادوا وخلعوه وأعادوا الناصر إلـــى الحكـــم عـــام (756هـــــ / 1354م) (عاشور، 1976أ).

كل هذه التغيرات في السلطة أدت إلى سوء الأوضاع الاقتصادية وإضـــعاف الدولة المملوكية فأصبح كل أمير يشتري المماليك لحمايته ومنهم يلبغـــا الناصـــري حيث فاق عدد مماليكه مماليك السلطان نفسه وحاول من خلالهـــم الـــسيطرة علـــى الحكم ولكنه فشل وفي المرة الثانية نجح أحد مماليكه في عزل الـــسلطان وتعيـــين محمد بن حاجي بن محمد بن قلاوون مكانه عام (763هـــــ / 1361م) وحكـــم سنتين اتهمه يلبغا الناصري باختلال في عقله وعزلـــه عـــن الحكـــم (الزيـــدي، 2003).

ثم خلفه شعبان بن حسين عام (765هــ / 1362م) وكان الوضع الاقتصادي سيئا لأن كل أمير يحاول شراء مماليك وتسابقهم على المناصب والإقطاعيات وساد الفساد في الدولة وخلال هذه الفترة توجه السلطان إلى الحج فتقاتل الأمـــراء فيمـــا بينهم فثار المماليك ضد السلطان فعزلوه وعيّنوا علي بن شعبان عام (778هــ /

1376م) وطشتمر الداودور قائدا للجيش واينبك أميرا(أبن تغري بـــردي، 11ج، 1992؛ الزيدي، 2003).

ثم عزل طشتمر وعيّن اينبك قائدا للجيش، وخلال هذه الفترة كـــان برقـــوق يخطط للوصول إلى العرش فأخذ يتقرب من الشعب ورجال الدين والقضاة ويرتقي في المراتب حتى وصل إلى رتبة أمير فعمل على إلغاء الضرائب وبدأ بتقريـــب الشراكسة له والتقرب إلى مماليك السلطان ونواب الشام، علما أنه صـــاحب هـــذه الفترة مجاعة وتدهور الوضع الاقتصادي وانتشرت الفوضى، وتوفي السلطان عـــام (783هـ /1381م) فجمع برقوق الأمراء والقضاة والخليفة المتوكـــل علـــى الله (779-785هـ/1377-1383م) (القلقشندي، ج2، 1980) وعيّن زين الدين حاجي بن شعبان سلطانا عام (783هـ/1381م) وحكم سنة واحدة، وبهذا تكون نهاية الدولة المملوكية البحرية بعد فترة حكم امتـــدت مـــن (648 -784هـــ / 1250 - 1382م) كانت مليئة بالأحداث الهامة على المستوى الداخلي من خلال الثورات والفتن طمعا بالعرش بين الأمـــراء والـــسلاطين(المقريـــزي، ج2، د.ت؛ السيوطي، 1988).

كل هذه الأحداث انعكست على الحياة الاجتماعية والاقتصادية لعامة الشعب، ونلاحظ أن أطول مدة حكم بين السلاطين هي حكم الناصر محمد قـــلاوون والتـــي جاءت على ثلاث مرات أحس خلالها الناس بالرخاء والأمان وتحـــسن المـــستوى المعيشي على عكس فترة حكم أبنائه وأحفاده الذين كانوا لقمة سهلة للأمراء يلعبون بهـــم كيفمـــا يريـــدون يعزلـــونهم ويعينـــوا مـــن أرادوا مـــنهم (ضومط، 1980).

2.2 قيام دولة المماليك البرجية:

عندما تولى السلطان حاجي بن شعبان الحكم زاد الفساد والخروج عن طاعة الحكام، فكانت البلاد بحاجة لحـــاكم يخلـــصهم مـــن هـــذه الفوضـــى فلـــم يكـــن أحد ينافس السلطان برقوق على هذا المنصب فتولى الحكم للمـــرة الأولـــى عـــام

(784هـ / 1382م) (السخاوي، ج3، 1980)، وهو من أصل شركسي فحاول تقريب بني جنسه من الشراكسة فوزع المناصب عليهم وحاول كسب ود من حولـه من خلال توزيع المناصب والأموال عليهم فأدى ذلك إلى قيام كل أمير بزيادة عدد مماليكه والتدخل في تعيين نواب بلاد الشام كـل هـذا أدى إلـى زيـادة الأزمـة الاقتصادية في حين كان السلطان مشغولا بشركسة الدولة ومحاولة القـضاء علـى البيت القلاووني والأتراك (ضومط، 1980؛ زيتون، 2001).

وشهد حكم السلطان برقوق (784-801هـ/1382-1399م) العديد من الفتن منها ثورة الأتراك التي دعا إليهـا الخليفـة المتوكـل(763- 779هـ/ 1364-1380م)، فقضى عليها برقوق كما قضى على ثورة يلبغا الناصري نائب حلب ومنطاش نائب ملطية عام (791هـ /1389م) لكنهم ثاروا عليه من جديد وهزموا جيشه في مصر فاستسلم برقوق وأسر وسجن في سجن الكرك (السخاوي، ج3، 1980؛القلقشندي ، ج2، 1980؛ زيتون، 2001).

فقـام يلبغـا الناصـري بإعـادة حـاجي بـن شـعبان إلـى الحكـم عام(790ـ792هـ/1388-1390م) خوفا من الأتراك والشراكسة لكنه كـان هو الممسك بزمام الأمور في الدولة فأفرج عن السجناء وعـيّن النـواب وحـارب الشراكسة فسجن بعضهم ونفى الباقي إلى بلاد الشام مما أدى إلى صـراع داخـل الدولة وانتشار الفوضى، فقام الجيش بسرقة المواشي والحوانيت وتمـرد منطـاش على يلبغا وقتله وأصبح منطاش سيد البلاد وأمر نائب الكرك بقتل برقوق فـرفض وأطلق سراحه وثارت الكرك ضد منطاش وكذلك الشراكسة فأستعد منطاش لمحاربة السلطان برقوق، فصادر أموال اليتامى وفرض المكوس على الـسكان فممـا زاد الوضع سوءا وثارت بلاد الشام ضد منطاش لصالح برقوق ونشب الـصراع بـين الجيشين وهزم منطاش ودخل برقوق مصر من جديـد فـي ولايـة ثانيـة عـام (792هـ / 1390م)(المقريـزي ، ج2، د.ت ؛ أبـن تغـري بـردي،ج11 ، 1992).

عمل السلطان برقوق خلال هذه الفترة على شركسة الدولة وضرب المماليك الأشرفية(مماليك الاشرف ناصرالدين شعبان) بالمماليك اليلبغاوية(مماليك يلبغا الناصري) وقضى على منطاش في بلاد الشام عام (795هـ / 1392م) وقام بتحسين الوضع الاقتصادي بعد القضاء على الفتن وهزم جيش تيمورلينك (المغول) (797هـ/ 1394م) وعندما شعر برقوق بدنو أجله جمع الأمراء فأخذ منهم عهد على العرش من بعده لأحد أبنائه (فرج وعبدالعزيز و إبراهيم) ويكون أيتمش البيجاسي (كبير الأمراء في ولاية حاجي بن شعبان) وصيا عليه وتوفي برقوق عام (801هـ / 1399م) (الزيدي، 2003).

قام الأمراء بتنصيب فرج برقوق على العرش ولكنهم لم يساعدوه في إدارة شؤون البلاد بل سارعوا إلى المناصب فقامت ثورة بين أيتمش البيجاسي وسودون(نائب السلطنة في عهد السلطان برقوق) انتهت بسجن سودون ودخلت البلاد في فوضى بسبب التنافس على المناصب وتدهور الوضع الاقتصادي كما ثار تنم الحسيني(نائب بلاد الشام) بمساعدة يشبك الخزندار[1] وانضمام أيتمش البيجاسي لهم فسيطروا على بلاد الشام فقرر السلطان الخروج على رأس جيش للقضاء على هذه الفتنة فانهزم تنم وأتباعه في هذه الأثناء استغل الأمراء خروج السلطان إلى بلاد الشام فقاموا بنهب البيوت وقتل النساء وعندما عاد السلطان إلى مصر قتل عدد كبير من الأمراء وسيطر على الوضع من جديد، وما ان انتهت هذه الثورة حتى قدم خطر المغول من جديد بقيادة تيمورلينك ولسوء الوضع الاقتصادي في مصر تمكن المغول من دخول بلاد الشام ونشر الفوضى والقتل والسرقة والنهب فقرر السلطان السير بجيش إلى بلاد الشام من جديد فوصل إلى غزة وأسر أطلمش أحد قادة الجيش المغولي وعاد الجيش المملوكي إلى مصر وبقيت بلاد الشام تحت سيطرة المغول فأرسل تيمورلينك إلى السلطان فرج يطلب فيها التخلي عن عرش مصر وإطلاق سراح أطلمش فرفض السلطان التخلي عن العرش لكنه أطلق سراح

([1])الخزندار، هو الكاتب المكلف بخزن المحاصيل والغلال، أنظر إسماعيل ص2□□.

أطلمش وأرسل الهدايا إلى تيمورلينك فقبلها وفي هذه الأثناء كثرت الفتن والفوضى في مصر فرأى السلطان فرج أن يترك العرش للأمراء في ظـل هـذا الـصراع (المقريزي، ج2، د.ت؛ أبن تغري بردي،ج12،1992).

فعيّن الأمراء أخاه عبدالعزيز مكانه عام (808هـ /1405م) ولكـن بعـد شهرين عاد فرج إلى الحكم من جديد وعيّن أمراء جدد وقتل وأسر بعض الأمـراء السابقين فعيّن حكم العوضي(نائب طرابلس سابقا) نائبا على حلب ونوروز الحافظي نائبا على دمشق ولكنهما ثارا ضد السلطان إلى أن مات حكم العوضي بعـد ذلـك طمع نوروز بالحكم فسار بجيش إلى القاهرة إلا انه هزم وعزل عن الحكم، وعـيّن مكانه (المؤيد شيخ المحمودي) الذي قام بمحاربة نوروز الذي هرب إلى القـدس لكنه عاد وتحالف مع نوروز ضد السلطان الذي أستعد لمحاربتهمـا فـي صـرخد فتحالف الأتابك تغربردي[1] معهما ضد السلطان فهزم السلطان وأسر وقتل على يد مماليك أبيه عام (815هـ/ 1412م) (ضومط، 1980).

بقي العرش خاليا فلم يجرؤ نوروز ولا المؤيد شيخ المحمودي على اعتلاء العـرش خوفا من الصراع بينهما فعقد المؤيد شيخ مجلس تم خلاله تعييّن الخليفة المـستعين بالله (808-816هـ/1405-1413م) سلطانا على البلاد(815هـ/1412م) (القلقشندي، ج2، 1980)، ففرح الناس، لكنه كان خليفة اسميا فكانت الأمور بيد نوروز وشيخ ثم عزل وسجن بعد خمسة أشهر من جلوسه على عرش السلطنة، ثم اعتلى العرش مكانه المؤيد شيخ المحمودي فثار نوروز في بلاد الشام مع أنـصار الخليفة المخلوع فحارب المؤيد شيخ المحمودي الثورة وقتـل نـوروز والأمـراء المتآمرين معه عام (817هـ/1414م) بعد ذلك توجه إلى الأناضول بعد خروجها عن الطاعة وتمكن من الانتصار على أهلها عام (821هـ/1418م) كذلك دحـر جيوش قرة بن يوسف التي احتلت شمال بلاد الشام ثم عاد قرة من جديد لاسـترداد

([1]) الأتابك، هو لقب قائد الجيش المملوكي، أنظر إسماعيل ص□□.

ما أخذه شيخ منه فمات المؤيد شيخ في هذه الأثنـــاء عـــام (824هـــــ/ 1421م) (السيوطي، 1988؛ أبن تغري بردي، ج13، 1992؛ زيتون، 2001).

ثم تولى ابنه أحمد العرش وكان والده قد جعل الوصاية عليه بثلاثة أشخاص هم (الأمير الطنبغا القرمشي والأمير ططر والأمير قجقار القرومي) فدارت بـــين هولاء الثلاثة فتن وصراعات لتولي العرش ففاز ططر بـــالعرش وتـــزوج والـــدة السلطان أحمد ثم طلقها وتوفي ططر بعد أن أوصى بالعرش لابنـــه محمـــد وكـــان عمره عشر سنوات ولقب الملك الصالح وأمر أن يكون جانبك العوضي نائبـــا لـــه وبرسباي الدقماقي (نائب حماه ونائب طرابلس ايام السلطان ططر)، وصيا عليـــه وعلى طريقة من قبلهما تصارع جانبك وبرسباي على العرش ففاز برسباي وسجن جانبك وتولى برسباي العرش بعدما خلع الـــسلطان عـــام (825هـــــ/ 1422م) فقضى على ثورة الأمراء الرافضين لحكمه وقضى على هجمات المغول بقيادة ابن تيمور لينك (شاه روخ) وتمكن من احتلال جزيرة قبـــرص وضـــمها للدولـــة المملوكية عام (829هــ/ 1426م) وتوفي برسباي عندما كان يحارب ابن قـــرة يلك عام (841هــ/ 1438م) (أبن تغري بردي،ج14، 1992).

قبل وفاة برسباي عهد بالحكم لابنه يوسف فلقب الملك العزيز وعيّن جقمـــق وصيا عليه(السخاوي، ج3، 1980)، فطمع جقمق بالعرش فعمل على خلع يوسف عن العرش ونصّب نفسه مكانه عام(842هــ/1438م). كان السلطان جقمق ورع متدين أحب العلم والعلماء، نعمت البلاد خلال فترة حكمه بالهدوء والاستقرار وحسن العلاقات الخارجية مع الدول الإسلامية والدولة العثمانية مع المغول وقبـــل وفاتـــه أوصى بالعرش لابنه عثمان وتوفي عام (857هــ/1453م) ولكن عثمان لم يكن مرغوبا فيه فخلع عن العرش ونصب أينال العلائي سلطانا في نفس العـــام ولقـــب الملك الاشرف وكانت فترة حكمه مليئة بالفوضى والفتن وانتشار المجاعة ومـــرض الطاعون فهجرت الأسواق وتصارع الأمراء وضعفت التجارة ومات السلطان عـــام (865هــ/1461م) فخلفه ابنه احمد ولقب الملك المؤيد لم تدم فترة حكمه طويلا لصراع الأمراء من حوله فحاول المماليك الأشرفية تعييّن جانم نائب دمشق سلطانا

وحاول المماليك الظاهرية تعييّن سيف الدين خشقدم وتم ذلك في نفس العام ونصب خشقدم سلطانا للبلاد (السخاوي، ج3، 1980؛ الزيدي، 2003).

لكن جانم لم يرضَ بالأمر وذهب إلى القاهرة إلا أنه خضع له بعد ذلك ثم قام السلطان بقمع المماليك الاشرفية مما أدى إلى قيام ثورة ضد السلطان، كذلك قام بقتل نائب جدة لسمعته الجيدة عند عامة الناس فخشي على سلطانه من جاني بك كذلك أرسل إلى زعيم المماليك الظاهرية(قايتباي) وأكرمه، شهدت فترة حكم خشقدم عدة حملات ضد قبرص كما ساءت علاقته مع الدولة العثمانية، فمرض السلطان ثم توفي عام(872هـ/1467م)(أبن تغري بردي، 1992، ج15،).

بعد ذلك اختير الأمير سيف الدين يلباي سلطانا ولقب الملك الظاهر عام (872هـ/1467م)، وكان ضعيف الشخصية ولم يكن على قدر المسؤولية فتصارعت فئات المماليك وقاموا بخلعه وتعييّن تمربغا الرومي في نفس العام ثم قاموا بخلعه وتعييّن خير بك لكن المماليك الظاهرية عادوا وعيّنوا قايتباي على العرش(المقريزي، ج2، د.ت)، وسجن خير بك وحمى قايتباي نفسه بمماليك اشتراهم مخلصين له، كان عهده من أفضل عهود المماليك الشراكسة حيث انتصر على التركمان وانتصر على العثمانيين عام(876هـ/1471م)، وواجه الكثير من الثورات في آسيا الصغرى لكن شهدت أواخر فترة حكمه انتشار مرض الطاعون وشح الموارد وموت زوجة السلطان وكبر السلطان ومرضه وكان هناك صراع بين أميرين هما قانصوه الغوري و اكبردي وتوفي السلطان عام (901هـ/1496م) (عاشور، 1976أ؛ زيتون، 2001).

ثم خلف محمد أباه قايتباي وكان قانصوه وصيا على العرش، وكان السلطان خليعا محبا للغناء والمغنيات وفي هذه الأثناء كان الصراع ثائرا بين قانصوه و اكبردي فدخلت البلاد في الفوضى والصراعات من جديد فقام طومان باي (صاحب المالية) بقتل اكبردي عام (904هـ/1498م) فحكم مكانه قانصوه عام واحد ولكن كثرة المؤامرات أدت إلى عزله عن الحكم وسجنه ثم لم يجرؤ طومان باي على اعتلاء العرش لوجود أمراء أقوى منه أمثال جانبلاط وتاني بك فاعتلى

جانبلاط العرش عام (905هـ/ 1500م) وحكم سنة واحدة بعد ما طمع قـصروه نائب الشام بالعرش فأرسل السلطان جانبلاط طومان باي على رأس جـيش إلـى الشام لمحاربة قصروة لكنهما اتفقا على العصيان وتعيين طومان باي سلطانا وحدث ذلك عام (906هـ/1501م) لكنه انقلب على عامة الشعب فصادر الأموال وقتل القضاة وشتت الناس وقتل قصروة فدبر الأمراء له مـؤامرة فتـرك القـصر واختفى في نفس العام (المقريزي،ج2،د.ت ؛ موير، 1995).

لم يقبل السلطان قانصوه الغوري باعتلاء عرش مصر خوفا من قتله لكنه عاد واستلم الحكم عام (906هـ/1501م) فطرد أتباع طومان باي وفرض الضرائب على الناس وصرفها على مماليكه ثم قرر الحرب على الدولة العثمانيـة فانتـصر عليهم ثم فكر السلطان سليم الأول العثماني باحتلال مصر عن طريق احتلال الشام أولا فأعد السلطان سليم الأول جيشا وخرج إلى الشام لملاقاة السلطان سـليم الأول ترك طومان باي الثاني على عرش مصر والتقى الجيشان في سهل مـرج دابـق شمال حلب فانهزم المماليك بسبب كثرة العثمانيين وخيانة خايربك نائب حلب فقتـل السلطان قانصوه ودخل سليم الأول دمشق منتصرا وفرح الناس بهم لأنهم خلصوهم من ظلم المماليك وبقي طومان باي الثاني على عرش مصر بعد مقتـل الـسلطان قانصوه عام (922هـ/1516م) (موير، 1995).

ثم واصل السلطان سليم الأول زحفه باتجاه مصر في حين رفض المماليـك القتال دون عطايا وكان بيت المال فارغا فخرج طومان باي الثاني وتواجـه مـع العثمانيين وهزم ثم فر إلى جنوب مصر فاحتل سليم الأول بعض المدن المـصرية وقتل بعض الشراكسة وعفا عن بعضهم ثم ظهر طومان باي الثـاني مـن جديـد وحاول هزيمة العثمانيون وقطع الإمدادات عنهم ثم عرض علـى سـليم الأول أن يعترف طومان باي بالباب العالي إذا خرج سليم الأول من مصر فأرسل سليم الأول الخليفة المتمسك بالله (903هـ/1497م) وأربعة قضاة مع وفـد للاتفـاق لكـن الأمراء أشاروا على طومان باي قتلهم ففعل وغضب سليم وخرج لملاقاة طومـان باي فهزم طومان باي وفر ثم أسر وقتل شنقا عند باب الزويلة أحد أبواب القـاهرة

وبذلك انتهى حكم الدولة المملوكية بشكل عام سنة (932هـ/1517م) (السيوطي، 1988 ؛ زيتون، 2001؛ الزيدي، 2003).

ومن خلال استعراضنا لتاريخ دولة المماليك نجد أن هذا العصر كان عصر صراع على السلطة بين الأمراء والأوصياء على العرش وأن هناك تشابه في طريقة الوصول إلى العرش لأن السلطان يوصي بالعرش لأحد أبنائه ويختار أوصياء عليه فيتصارع الأوصياء على العرش ويهزم أحدهم الآخر ويخلع السلطان وينصب نفسه مكانه، كذلك كان دور الكرك وبلاد الشام بارزا من خلال انطلاق الثورات منها عن طريق الأمراء والسلاطين المخلوعين الذين يسجنون في سجن الكرك كذلك بلاد الشام التي كان تعيين نوابها من السلطة في مصر فيخرجون عن طاعة السلطان ويقومون بثورة ضد السلطان إضافة إلى أنها كانت عرضة لهجمات المغول من الشرق ، إلى أن تمكن السلطان سليم الأول من القضاء على الدولة المملوكية بعد فترة حكم امتدت حوالي ثلاثة قرون.

الفصل الرابع

المقرنصات في العمارة المملوكية

لقد اعتنى السلاطين المماليك بالعمارة بكافة أشكالها وأنواعها من قصور ومدارس ومساجد ومشاهد وخانقاوات وبمارستانات وغيرها وقد اهتموا بزخرفتها بأجمل الزخارف الهندسية والنباتية كالمشربيات والشرافات والقباب والعقود والمقرنصات وقاموا بجلب المهندسين والفنانين من المدن المجاورة لتشييد هذه المباني وفي هذا الفصل سنتحدث عن عنصر المقرنصات في العمارة المملوكية عن أماكن تواجدها موضحا بالصور والأشكال حيث يعد العصر المملوكي العصر الذهبي لهذا العنصر الزخرفي من حيث كثرة الاستخدام وتعدد أشكاله وتنوعها في المباني الدينية والمدنية.

1.4 المقرنصات في العمارة الدينية

1.1.4 القباب،

لقد أخذ المسلمون فكرة القبة من الحضارات السابقة كالساسانية الفارسية الرومانية والبيزنطية ، وهي عبارة عن مجموعة من العقود التي تلتقي عند نقطة واحدة تسمى المفتاح الحجر (**keystone**) ثم قام المسلمون بتطوير هذه القباب من حيث الزخارف حيث قاموا بتزيينها بالزخارف النباتية والهندسية من الداخل والخارج إذ كانت تعبر عن السماء بالنسبة لهم كما في قبة قصير عمرة، كما كانت القباب توفر الإنارة للمبنى من خلال النوافذ التي تقع في المنطقة الانتقالية وفي المباني الإسلامية استخدمت القباب في المشاهد والمساجد والمدارس والقصور والخانقاوات والأسبلة وغيرها أما بالنسبة لمادة البناء جاءت حسب البيئة من خلال توفر نوع مادة البناء فجاء بعضها من طوب وبعضها من خشب أو حجارة (لمعي، 1984؛ عبدالحميد، 1986).

أما بالنسبة لطريقة بناء القبة فيتم تحويل الشكل المربع إلى دائرة عن طريق الحنايا الركنية أو المقرنصات التي توضع في زوايا الشكل المربع أو إلى الشكل المثمن عن طريق الأقواس التي تصل بين القواعد حسب نظام القباب المعلقة الرومانية البيزنطية والأصل أو حسب طريقة الحنايا الركنية (**squinch**)

الساسانية والفارسية الأصل، واقترن اسم القبة في العصور الإسلامية اللاحقة (الفاطمي، الأيوبي والمملوكي) بالمدفن فأصبحت كلمة قبة تعني مدفن خلال هذه العصور (عبد الجواد، 1970).

ومن الأمثلة على قباب هذا العصر:

1. قبة مدرسة السلطان حسن (749- 763هـ / 1347-1361م)،

والي بنيت ما بين عامي (757- 764هـ/ 1356- 1362م) وقد بني فيها عدة قباب منها القبة التي تعلو الغرفة التي تلي المدخل مباشرة وجاءت القبة محمولة على صفوف من المقرنصات مصنوعة من مادة الخشب وعدد صفوفها ست جاءت في زوايا المربع على شكل مثلث مقلوب محصورة بين شبابيك القبة (سامح، 1987؛ عكاشة، 1994) (الشكل 18).

2. قبة مدفن السلطان برقوق (786-788هـ / 1384- 1386م)،

تقع هذه القبة ضمن مدرسة السلطان برقوق التي تقع في منطقة بين القصرين في القلعة، وتحتوي على ضريح السلطان برقوق حيث جاءت القبة الضريحية مبنية على خمس صفوف من المقرنصات ذات الحنايا المقوسة تبدأ بحنية وتنتهي من الأعلى بست حنايا تتوسطها (الصف الثالث) حنية مزدوجة تتكون من حنيتين، زخرفت هذه الحنايا بأشكال هندسية على شكل خطوط وزخارف نباتية (لمعي، 1984) (الشكل 19).

3. قباب مجموعة السلطان فرج بن برقوق (801- 808هـ /1398-1405م)،

وقد أنشئت هذه المجموعة بين عامي (803-813هـ / 1400-1411م) وقد تضمنت قبتين ضريحيتين مُلئت بالزخارف الكتابية والهندسية والنباتية، أما المنطقة الانتقالية لهاتين القبتين جاءت مزخرفة بصفوف من المقرنصات على شكل مثلث مقلوب قاعدته للأعلى ورأسه للأسفل(عكاشة، 1994 ؛ نويصر،1996) (الشكل 20).

4- قبة ضريح السلطان قايتباي (873- 901هـ/ 1468- 1496م):

وقد بني هذا الضريح في عام (877-879هـ/1472-1474م) وقد جاءت المقرنصات فيها في المنطقة الانتقالية على شكل مثلث معكوس تبدأ بحنية واحدة ثم تزداد كلما ارتفعنا إلى أعلى في زوايا المربع الأربعة (عبدالجواد، 1970، ص129؛ سامح، 1987،ص47-48).

ومن هنا نجد أنه لا فرق في هذا العصر بين مدرسة، خانقاه، ضريح أو مسجد فهي تقام في مكان واحد على شكل مجموعة ذات مدخل واحد ومرافق مشتركة، كذلك كلمة قبة أصبحت تدل على الضريح لأن القباب استخدمت بكثرة على الأضرحة، فنلاحظ أن كلمة قبة تعني ضريح أو مدفن لشخص معين، كما أن المناطق الانتقالية استخدمت فيها المقرنصات بكثرة في هذا العصر وجاءت إما في زوايا المربع، تزداد بشكل طردي كلما ارتفعنا إلى أعلى أو تحيط بالقبة بشكل كامل على شكل دائري لا تنفصل عن بعضها .

2.1.4 المحاريب:

مفردها محراب وهو عبارة عن حنية في جدار القبلة يتم إنشائه ليتمكن المصلي من معرفة اتجاه القبلة (مكة المكرمة) ويرمز إلى أن الإمام هو رمز الأمة الإسلامية فيمثل الدنيا والدين، ويقع على يسار المنبر وجاء على نوعين مسطح ومجوف، وهناك أكثر من رواية حول زمن أول محراب في الإسلام إلا أنها تتفق أنه جاء بعد عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، لأنه في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وضع عمود في منتصف جدار القبلة في المسجد النبوي في المدينة ليرمز إلى اتجاه القبلة ومن ثم إلى رمز الأمة الإسلامية، ثم أدخل المحراب المجوف في عهد الخليفة الوليد بن عبدالملك على شكل حنية في جدار القبلة (رزق، 2000).

في العصر الطولوني و الفاطمي بنيت المحاريب محراب مسجد أحمد بن طولون (263-265هـ/876-879م) من الخشب ومحراب مسجد الخليفة

الحاكم بأمر الله من الجص مثل محراب الجامع الأزهر(519هـ/1125م)، كما استخدم الرخام في تغطية المحاريب مثل محراب مدفن الصالح نجم الدين أيوب .

أما محاريب العصر المملوكي فقد كانت تتكون من عمودين جانبيين وطاقية (صدر) ، وقد كسيت المحاريب في هذا العصر بالفسيفساء وزيّنت بالرخام وزينت بالتفريعات النباتية والزخارف الهندسية ، ومن أشهر محاريب هذا العصر محراب مدرسة السلطان برقوق (786-788هـ/1384-1386م) وابتكر السلاجقة تزيين طواقي المحاريب بالمقرنصات في بعض المباني الدينية كالمشاهد يوجد أكثر من محراب ربما يعود ذلك لتخصيص محراب لكل مذهب (شافعي،1982؛ لمعي، 1984) (شكل 21).

أما بالنسبة لعنصر المقرنصات فقد وجد في الأعمدة التي تحمل طاقية محراب جامع المؤيد ولم نعثر من خلال البحث في المصادر والمراجع التي تتحدث عن العمارة في هذا العصر على محاريب تعود للعصر المملوكي زيّنت طواقيها بالمقرنصات (شكل 22).

3.1.4 المنابر

مفردها منبر وهو عبارة بسطة مرتفعة عن أرضية المسجد يتم الوصول إليها عن طريق عدة درجات يصعد إليه الخطيب لإلقاء الخطبة على المصلين في أيام الجمع والأعياد، يلي الدرجات بسطة صغيرة يقف عليها الخطيب تغطى من الأعلى بنصف قبة تزيّن بالمقرنصات والأشكال الهندسية والنباتية الأخرى، يقع غالبا على يمين المحراب في جدار القبلة ويصنع عادة من الخشب والرخام والحجر ، وقد عرف المنبر منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد زيّنت المنابر بأشكال هندسية ونباتية من خلال الحفر على الخشب أو الرخام، في العصر المملوكي وجد العديد من المنابر الرخامية المزيّنة بالمقرنصات حيث توجد على التاج الذي يعلو عتبة الباب الذي يقع عند بداية الدرج وعلى رأس السقف الذي يقع فوق البسطة التي

يقف عليها الخطيب ومن الأمثلة عليها منبر جامع المؤيد (لمعي، 1984؛ رزق، AL-Asad, 1994؛2000) (شكل 23).

4.1.4 المداخل

وتقسم المداخل إلى قسمين مداخل رئيسية ومداخل فرعية وغالبا ما يقع الباب الرئيسي في الواجهة المقابلة لجدار القبلة التي تخلو من الأبواب دائما أما فيما يتعلق بالمادة التي تصنع منها الأبواب فقد كانت تصنع الأبواب من مواد عديدة مثل الخشب والبرونز والحديد وتزيّن بحشوات خشبية وزخارف نباتية وهندسية (عبدالعليم، 2003).

أما بالنسبة للمكان الذي كانت توجد فيه المقرنصات فقد كانت تزيّن العتبة العليا لهذه الأبواب في بطن طاقية العقد الذي يحمل نصف القبة التي تعلو الأبواب وهي غالبا من نوع مقرنصات ذات الدلايات نذكر من هذه المداخل،-

أ.مدخل جامع السلطان الظاهر بيبرس.

بني هذا الجامع في القاهرة ما بين عامي (665-667هـ/ 1266-1269م) حيث يوجد لهذا المسجد ثلاثة أبواب واحد رئيسي وأثنين على جانبي الباب الرئيسي، وقد زيّنت طاقية المدخل الرئيسي بمقرنصات ذات الدلايات (عبدالحميد، 1986) (الشكل 24).

ب.مدخل جامع السلطان حسن.

حيث بنى السلطان حسن هذا الجامع ما بين عامي (757-764هـ/ 1356-1362م) وجاء المدخل عبارة عن فتحة كبيرة تصل إلى أعلى الواجهة ولا يشغل الباب إلا جزءا من الفتحة ويقع في الجهة البحرية للمبنى وقد زيّن بطن القبة النصف كروية بصفوف من المقرنصات ذات الدلايات(عبدالجواد، 1970، ؛Oleg,1973؛ عكاشة، 1994) (الشكل 25).

ج- مدخل جامع السلطان مؤيد شيخ .

بني هذا المسجد بين عامي (818-823هـ/1415 -1420م) ويقع المدخل بجوار قبة المسجد في الواجهة الجنوبية الشرقية وتتميز كتلة المدخل

بارتفاعها الشاهق وزيّن من الأعلى في بطن العقد بصفوف كثيرة من المقرنصات التي تحمل القبة (عكاشة، 1994 ؛ نويصر، 1996) (الشكل 26).

5.1.4 المآذن:

المئذنة هي المكان الذي ينادى منه إلى الصلاة وتكون مرتفعه عن المسجد والهدف من ارتفاعها حتى يصل الصوت إلى أبعد نقطة ولا يكون هناك حاجز يمنع وصول الصوت، ولم تكن المئذنة معروفة زمن الرسول صلى الله عليه وسلم إذ كان بلال يصعد إلى مكان مرتفع قليلا ويؤذن، ويذكر كمال الدين سامح أن فكرة المئذنة أخذت من أبراج الكنائس البيزنطية وذلك عندما حوّلت الكنيسة الموجودة في دمشق إلى المسجد الأموي في عهد الوليد بن عبدالملك(87-96هـ/ 706-714م) وبقيت أبراجها كما هي (سامح، 1987) وهذا كلام غير صحيح لأن البلاذري وشافعي يذكر أن مسجدي الكوفة والبصرة كان لهما مآذن وهما يعودان إلى عهد معاوية بن أبي سفيان (45هـ/665م) وكانت مربعة الشكل بنيت من الحجارة جلبها زياد بن أبي سفيان من جبل الأهواز وكذلك مآذن جامع عمرو بن العاص في الفسطاط والتي بنيت في عهد معاوية بن أبي سفيان(53هـ/672م)(البلاذري، 1987؛ شافعي، 1982).

وتطورت المئذنة خلال العصور الإسلامية اللاحقة فقد جاءت في العصر الفاطمي منفصلة عن المبنى وعلى طابقين الأول مربع والثاني مثمن وأحيانا ثلاث طوابق يكون الأوسط اسطواني وتنتهي بقبة (لمعي، 1984).

أما في العصر المملوكي فقد بنيت المآذن بعناية خاصة من حيث الزخرفة فقد زخرفت بالقاشاني والخوذات المضلعة والمقرنصات والشرفات وجاء البدن يتكون من عدة أشكال منها المربع، الاسطواني والمثمن وتنتهي من الأعلى إما بقبة أو مبخرة، أما بالنسبة لمادة البناء فقد جاءت حسب المواد الخام المتوفرة في البيئة من حجارة أو طوب (عبدالجواد، 1970؛ حسن، 1981).

ومن أمثلة هذه المآذن في العصر المملوكي:

1- مئذنة ضريح المنصور قلاوون (678-689هـ/1279-1290م).

أنشئت عام (683-684هـ/ 1284-1285م) وجددت في عهد ابنه الناصر (693- 694هـ/1293- 1294م) حيث تتكون المئذنة من ثلاثة طوابق الأول والثاني مربع الشكل والثالث جاء اسطواني الشكل مزخرف بعقود ذات زخارف بارزة وأحيطت المناطق الانتقالية بين الطوابق الثلاثة بشرافات مزينة بكرانيش وصفوف من المقرنصات (نويصر،1996) حيث جاءت الشرفة الأولى التي تحيط بأعلى الطابق الأول مربعة الشكل وجاءت الشرفة الثانية مثمنة الشكل لإقامة البدن الاسطواني عليها (عكاشة،1994) (الشكل 27).

2- مئذنة مسجد السلطان فرج بن برقوق(801- 813هـ/ 1398- 1411م)
.

بنى السلطان فرج مسجد ومدرسة وضريح معا في عام (811هـ/1408م) في القاهرة حيث جاءت المئذنة الخاصة بالمسجد على ارتفاع ثلاثة طوابق مثمنة الشكل تعلوها قبة وجاءت المنطقة الانتقالية بين هذه الطوابق محاطة بشرفات مثمنة الشكل قائمة على ثلاث صفوف من المقرنصات وعدد هذه الشرافات ثلاث .انظر (عكاشة، 1994؛ نويصر، 1996؛ رزق، 2000) (الشكل 28).

6.1.4 الجدران

وهي الجدران التي تحدد مساحة البناء وتشكل حاجزا يستر ما بداخل البناء عن خارجه وقد جاءت مبنية إما من الحجارة أو الطوب حسب طبيعة المنطقة المحيطة بالبناء وقد احتوت هذه الأروقة على مداخل وشبابيك وزخارف هندسية ونباتية وقد وجد في هذه الجدران فتحات وهمية على شكل كوات مقوسة من الأعلى معقودة تحتوي على زخارف (مقرنصات) من الأعلى إضافة لزخارف المداخل والشبابيك التي زخرفت من الأعلى بمقرنصات كما في العصر الفاطمي في واجهة الجامع الأقمر، أما في العصر المملوكي فنذكر منها:-

1-واجهة مدخل خانقاه السلطان بيبرس الجاشنكير (706- 709هـ /1308-1310م)،

بنيت عام 706-709هـ /1308- 1310م) حيث جاءت المقرنصات في أعلى الشبابيك في الطابق الثاني والثالث (نويصر، 1996) (الشكل 29).

2-واجهة مسجد السلطان المؤيد شيخ.

بني عام (818-823هـ/1415-1420م) في شارع المعز لدين الله الفاطمي بالقاهرة حيث جاءت المقرنصات تزيّن الواجهة الرئيسية لهذا المسجد على شكل محاريب مقوسة ومثلثة في أعلى كتل الشبابيك مجتمعة تشبه في شكلها الخارجي المثلث المقلوب كما في (الشكل30).

7.1.4 الأعمدة والعقود

أ- الأعمدة:

كانت الأعمدة في بداية الدولة الإسلامية تنقل أحيانا من المعابد الرومانية والكنائس البيزنطية إلى المساجد الأولى فلم يكن هناك طراز خاص بالمسلمين، لكن تذكر بعض الدراسات أن أول طراز للأعمدة الجديدة شوهد في الجوسق الخاقاني في قصر الخليفة المعتصم، وجاءت تاجيته على شكل حبة رمان ثم شاع استخدامها في البلاد الإسلامية. كان من هذه الأعمدة ما تزين تاجياته بالزخارف النباتية وكان الفنان المسلم يتفنن في بدن العمود فأصبحت الأعمدة تقوم بوظيفتين بنائية لحمل العقود والأقواس، وجمالية من خلال الزخارف التي تحملها، كذلك من الزخارف التي تزين بها الأعمدة هي المقرنصات واستخدمت بكثرة في الأندلس في قصور الحمراء (عبد الجواد، 1970 ؛ سامح ،1987)

أما العصر المملوكي جاءت الأعمدة ذات بدن مثمن وتعددت زخارف تاجيات هذه الأعمدة فنجد التاج الناقوسي كما استعمل التاج المقرنص الذي زينت تاجية العمود بصف من المقرنصات كما في الأعمدة التي تحمل قبة محراب جامع السلطان المؤيد (شكل 22) .

ب- العقود:

وهي عبارة عن أقواس تقع فوق الأعمدة لتحمل السقف عليها، وقد تعددت أنواع العقود واستخدمت كل هذه الأنواع في العمارة الإسلامية ومنها ، العقد شبه الدائري، وهو يشكل أكثر من نصف دائرة يرتكز طرفيه على أعمدة وهو يشبه شكل حذوة الحصان، والعقد المدبب والعقد المخموس وما بينهما هو العقد المقرنص وهو ما زين باطنه بالمقرنصات ذات الدلايات والذي شاع في بلاد المغرب العربي والأندلس وخاصة في قصور الحمراء (عبد الجواد، 1970؛ لمعي، 1984).

وجاءت العقود في العصر المملوكي متعددة ومتنوعة أشهرها العقود المقرنصة حيث جاءت بصدور مقرنصة واستخدمت لحمل طاقية المداخل والمحاريب وفوق النوافذ كما في مدخل مدرسة السلطان برقوق التي بناها عام 788هـ/1386م) (عكاشة، 1994 ؛ رزق ،1995)(شكل 31).

8.1.4 المدار

هي الإمكان التي يدرّس فيها الشيخ تلاميذه ويعلمهم القرآن والكتابة والقراءة، وقد كانت الأماكن دور العلم في صدر الإسلام تتمثل بالمسجد حيث كان يمثل دار علم يعلم فيها الطلبة وأحيانا في بيت الشيخ، وفي العصر الفاطمي بني الجامع الأزهر إلا أنه لم يعمر كمدرسة للتعليم، ومن أقدم المدارس هي المدارس النظامية التي أنشأها نظام الملك [1]في بغداد وأطلق عليها المدرسة النظامية (407هـ/1061م) وكان القصد منها الرد على المذهب الشيعي، حيث أنشئت العديد من المدارس في نيسابور والموصل وبغداد وغيرها(عكاشة، 1994).

ومن دور العلم ما أقامه الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي في الفسطاط حيث أقام دار علم عام (401هـ/1010م) كما أقام نور الدين زنكي(541-570هـ/ 1146-1174م) دار علم لتدوين الحديث الشريف في دمشق عام

([1]) نظام الملك، هو وزير سلجوقي في عهد آلب أرسلان والملك شاه، أنظر عكاشة ص1.

(634هـ/1236م) أما في العصر الأيوبي فقد أنشئت المدارس لمحاربة المذهب الشيعي الذي كان سائدا في مصر خلال العصر الفاطمي فقد كانت المدارس عبارة عن بيوت سكنية تحول إلى مدرسة بعد موت صاحبها كالمدرسة القمحية في عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي(564-589هـ/ 1168-1193م) وذلك عام (566هـ/1170م) وكذلك المدرسة الناصرية التي بنيت في نفس العام (لمعي، 1984).

وفي العصر المملوكي أخذت المدرسة شكل محدد هو عبارة عن صحن يقع على جانبيه إيوانين وغرف الدارسين على الجانبين الآخرين مثل المدرسة الكاملية التي بناها الملك الكامل محمد الأيوبي (615-635هـ/ 1218-1238م) عام (622هـ/1225م) والمدرسة الصالحية التي بناها الملك الصالح نجم الدين أيوب (637-647هـ/ 1239-1250م) عام (639هـ/1242م) ونلاحظ خلال هذا العصر احتواء المدرسة مئذنة و بيت للصلاة لأداء الصلاة في نفس المدرسة (الياور ،1989؛ حيدر،1995).

كذلك تطورت المدارس في هذا العصر من حيث عدد الإيوانات فأصبحت أربع إيوانات تحيط بالصحن وصغر حجم الصحن والايوانات وأصبحت الإيوانات تسقف بالخشب بدلا من القبوات وكان الخشب يزين بالأرابسك[1] وكان كل إيوان يدرّس فيه مذهب من المذاهب الأربعة، كما الحقت بالمدرسة العديد من المباني كالمرافق العامة والسبيل والمطبخ وغرف للطلبة فأصبحت المدرسة مجمع سكني

([1])الأرابيسك، هو زخرفة الرقش العربي ظهر في بداية العصر الأموي وتطور في العصر العباسي ووصل ذروة الجمال في العصر السلجوقي في القرن الحادي عشر، وهو يجمع في زخرفته بين الزخارف النباتية والهندسية والكتابية، وهو لم يكن معروفا قبل العصر الإسلامي وبالتالي فهو طراز فني عربي إسلامي. أنظر غالب ص□□-□□؛ رزق ص12-□1.

يضم العديد من الوحدات السكنية المتعددة الأغراض ومن الأمثلة على هذه المدارس:-

1- مدرسة السلطان حسن

بنيت المدرسة في قلعة صلاح الدين عام (757-764هـ/1356-1362م) حيث بنيت المدرسة حسب التخطيط الهندسي فأصبح هناك صحن مكشوف في الوسط يحيط به أربع إيوانات إضافة إلى قبة ضريحية وتقع الواجهة الرئيسية التي تحتوي على المدخل الرئيسي في الجهة الشمالية الشرقية ومنها يتم الدخول إلى غرفة مثمنة الشكل جميلة ذات قبة محمولة على رقبة مزينة بصفوف من المقرنصات الجميلة، ثم يتم العبور إلى صحن مكشوف تحيط به أربع إيوانات أكبرها إيوان القبلة ويدرس في كل إيوان مذهب من المذاهب الأربعة، وتحتوي المدرسة على عدة مآذن لم يبق منها سوى مئذنة وحيدة قائمة إلى الآن تعود إلى العصر المملوكي (عكاشة، 1994؛ Hillenbrand;1994).

أما المقرنصات فقد جاءت بالتحديد في المدخل تزيّن طاقية المدخل التي تحمل القبة النصف كروية وهي من نوع المقرنصات ذو الدلايات كذلك في المئذنة ذات الأربع شرافات السفلى والعليا دائرية الشكل والوسطى ذات شكل مثمن جاءت هذه الشرافات محمولة على صفوف من المقرنصات، كما زينت الواجهة الرئيسية بمقرنصات تعلو الفتحات الوهمية التي تعلو النوافذ (سامح، 1987؛ نويصر، 1996) (الشكل32) (مخطط11).

2- مدرسة السلطان برقوق ([illegible]م)

أطلق عليها أكثر من تسمية لأنها تقع ضمن مجموعة بنائية تضم أكثر من مبنى إذ تضم مسجد ومدرسة وخانقاه لعبادة الصوفيين المنعزلين للعبادة، وقد بنيت المدرسة بين عامي (786-788هـ/1384-1386م) وتقع في بين القصرين في القلعة بالقاهرة، تخطيط هذه المدرسة على نظام الأربع إيوانات تحيط بالصحن الرئيسي المكشوف تستخدم للصلاة كذلك فإن كل إيوان كان يؤدي وظيفة أخرى

فالإيوان الشرقي إيوان القبلة يجتمع فيه طلاب المذهب الحنفي، والإيوان الغربي يجتمع فيه طلبة المذهب الشافعي، والإيوان الشمالي للطلاب المذهب الحنبلي والإيوان الجنوبي لطلاب المذهب المالكي، وتحتوي على مئذنة ذات قاعدة مربعة يعلوها بدن مثمن الشكل قسم إلى طابقين بواسطة شرافة زينت من الأسفل بصفوف من المقرنصات وكذلك الشرافة العلوية ثم طابق ثالث من الأعمدة تحمل القبة الكروية، يقع المدخل الرئيسي في الواجهة الجنوبية الشرقية مزخرف من الأعلى بمقرنصات في داخل العقد الذي يحمل طاقية المدخل(اليـاور، 1986؛ سـامح، 1987؛ لمعي، 1984 ؛ نويصر، 1996) (الشكل 33، المخطط12).

9.1.4 الخانقاوات

مفردها خانقاه ولها عدة مرادفات مثل الرباط وتعني المرابطة والمواظبة والالتزام وهذه المباني كانت في الأصل تقع على حدود الدولة الإسلامية يقيم فيها الجنود لحماية الثغور الإسلامية من غارات الدول الأخرى ويؤدون فيها عباداتهم أثناء القيام بواجبهم ومع توسع حدود الدولة الإسلامية وزوال دورها أصبح المتعبدين يعتكفون فيها للعبادة والانقطاع عن الناس والذين سموا بعد ذلك بالمتصوفين. ثم اختلفت الألفاظ من عصر لآخر وتطور شكل البناء فأضيف لبعضها محاريب ومآذن وغيرها ومن هذه الألفاظ:- الزاوية والتي تزامن ظهورها مع ظهور الربط وتقع خارج المدن والقرى، والتكية التي ظهرت في العصر العثماني (الدراجي،2001).

أما في العصر المملوكي كانت الخانقاوات على ثلاثة أنماط وذلك حسب البناء الذي تلحق به فإذا الحقت بالجامع فأنها تحتوي على محراب والأروقة ومئذنة وتقع غرف المتصوفين خلف الأروقة، أما إذا الحقت بالمدرسة لتدريس مذهب معين فإنها تخضع لنظام الأروقة كما في المدرسة، وأما أن تلحق بقبة أي قبر أحد شيوخ الصوفيين (محمد، 1979).

ومن هذه الخانقاوات في العصر المملوكي:

1- خانقاه بيبرس الجاشنكيز.

بنيت عام(706-709هـ/1306- 1310م) وجاء تخطيطها عبارة عن صحن يلي المدخل حوله إيوانات، إيوان القبلة خصص للصلاة وتحتوي على مئذنة جاءت قاعدتها مربعة يعلوها بدن دائري ثم أعمدة تحمل القبة التي تتوج المئذنة وأحيطت مناطق الانتقال بين هذه الطوابق بشرفتين السفلى مثمنة الشكل والعليا دائرية الشكل حملت على صفوف من المقرنصات، وجاء المدخل في غاية الضخامة والروعة متوج من الأعلى بشباك وآيات قرآنية ثم زخرفة دائرية الشكل تنتشر حولها المقرنصات أسفل طاقية المدخل(الريحاوي،1991،ص 206) (الشكل34، مخطط13).

2-خانقاه فرج بن برقوق،

تقع ضمن مجموعة بنائية تضم مسجد وضريحين وهي نفس تصميم خانقاه بيبرس التي تتكون من إيوان القبلة الذي جاء مستطيل الشكل والضريحين على جانبي قاعة الصلاة وتنتشر الغرف والقاعات حول الصحن وتحتوي على مئذنة جاءت قاعدتها مربعة الشكل فيها نوافذ من جميع الجهات يعلوه شرفة مربعة الشكل محمولة على صفوف من المقرنصات يعلوها بدن دائري تعلوه شرفة دائرية الشكل قائمة على صفوف من المقرنصات ثم أعمدة يعلوها شرفة مثمنة الشكل فوق أربعة حطات من المقرنصات تتوجها قبة بصلية الشكل(35)، كما تحتوي على قبة نصف دائرية زيّنت المنطقة الانتقالية بصفوف من المقرنصات، وقد بنيت هذه المجموعة ما بين عامي (801-813هـ/1399-1411م) (المعي،1984) (الشكل36، مخطط14).

2.4 المقرنصات في العمارة المدنية

1.2.4 القصور

لقد سكن السلاطين المماليك القصور وبنوها بعناية فائقة من حيث الزخرفة والتزييّن بصور الحيوانات والمناظر الطبيعية ومشاهد للصيد، لكن هذه القصور للأسف لم يبق فيها شيء قائم إلا بعض الخرب والأحجار المتهدمة، وكانت أغلب هذه القصور الخاصة بالسلاطين في منطقة القلعة التي بناها السلطان صلاح الدين الأيوبي (لمعي ، 1984)، ومن هذه القصور التي بقي منها الشيء القليل قصر الأمير قوصون (يشبك) والذي بناه عام (738هـ /1336م) كذلك منزل قايتباي الذي بني عام (890هـ- 1485م) .

أما بالنسبة للوصف المعماري لهذه القصور بشكل عام فإنها تتكون من طابقين، الطابق الأرضي لا يحتوي على نوافذ وإن وجدت فأنها تكون مرتفعة وذلك للحفاظ على حرمة المنزل من الداخل حتى لا يتمكن المارة من مشاهدة البيت من الداخل، وغالبا ما يكون لاستقبال الضيوف (الديوان) وغرف للرجال، بينما الطابق الثاني للعائلة وبيوت النساء، كذلك يحتوي البيت على غرف للخدمة كالمطابخ والحمامات وللقصر عادة مدخلين رئيسيين ومدخل ثانوي، وكذلك حديقة وأحيانا يلحق بهذه القصور زاوية للصلاة تحتوي على محراب، وقد روعي في تصميم هذه المنازل سمك الجدران للحفاظ على درجة حرارة المنزل ومنع تسرب الحرارة من والى المنزل (لمعي ،1984).

جميع هذه الوحدات السكنية تحيط بالساحة الرئيسية المكشوفة لغاية الإضاءة وغالبا ما يكون المدخل الرئيسي منكسر **(Bent Entrance)** للحفاظ على خصوصية وحرمة المنزل من الداخل ويزيّن عادة من الأعلى بصفوف من المقرنصات كذلك النوافذ تغطي بمشربيات وهي عبارة عن نوافذ بها فتحات صغيرة تسمح بدخول الهواء ورؤية من في الخارج بحيث لا يستطيع من في الخارج رؤية من في الداخل ومن المباني التي استخدم فيها عنصر المقرنصات مقعد دار الأمير بشتاك وقد زين مدخله بالمقرنصات حيث جاءت في بطن العقد الذي يقع في سقف

المدخل(الشكل37)، وكذلك مقعد الأمير ماماي [1] المعروف باسم بيـــت القاضـــي والـــذي زيـــن مدخلـــه بـــصفوف مـــن المقرنـــصات ذات الترتيـــب الهندســـي الرائع(الشكل38)، (سامح ،1987؛ الياور،1989). وعلى سبيل المقارنة أوردنا المثال التالي قصر الحمراء الذي يعود إلى القرن السابع الهجـــري/ الثالـــث عـــشر الميلادي وسميت بذلك نسبة إلى بني الأحمر (بنو نصر) الذين حكموا غرناطة مـــا بين (629-897هـــ/1232-1492م) ويقسم القصر إلى ثلاثة أقسام(المـــشور) وهو المكان الذي يعقد فيه الملك مجلسه، وقسم الاستقبالات الرســـمية ويقـــسم إلـــى الديوان وقاعة العرش، والقسم الثالث مخصص لمساكن الرجال والنساء والمرافـــق العامة، واستخدمت المقرنصات في القصر بكثافة عالية جدا خاصـــة فـــي تاجيـــات الأعمدة وبطون العقود التي تطل على ساحة الأسود(سامح، 1982أ) (لـــشكل 39، مخطط15).

2.2.4 الخانات

مفردها خان وهي كلمة فارسية أطلقت على أماكن إيواء المسافرين وبضائعهم ودوابهم. وتوجد غالبا على الطرق التجارية الخارجية، حيث توفر للتجار حماية من اللصوص ومكان نوم وأطعمة ومشروبات وأمـــاكن لإيـــواء حيوانـــاتهم. وعرفـــت الخانات في العصور الإسلامية حيث يعـــد قـــصر الحرانـــة والـــذي بنـــي عـــام (81هـــ/701م) في البادية الأردنية وقصر الحائر الغربي الذي بني عـــام (110 هـــ /728م) من أقدم الخانات في العصر الإسلامي والتي لازالـــت قائمـــة، ثـــم انتشرت بعد ذلك الخانات على طرق القوافل التجارية، وكانت الخانات تسمى بأسماء أصحابها أو أسماء بعض السلع التي تخزن فيها مثل خان الخليلي وخان الـــصابون وخان الحرير (المعي ،1984).

---

(1) ماماي السيفي، هو ماماي السيفي أحد أمراء السلطان قايتباي، أنظر حسن ص2.

أما في مصر فقد عرفت لفظة أخرى للدلالة على أماكن إيواء التجار بالإضافة للخان وهي الوكالة مشتقة من كلمة وكيل وهي من أسماء الله الحسنى وتعني الحافظ، جاء تخطيطها شبيها بتخطيط الخان حيث يوجد صحن رئيسي مفتوح (حوش) تحيط به الوحدات السكنية والغرف. وتتكون الوكالة من عدة طوابق، الطابق الأول يضم مخازن للبضائع وإسطبلات للدواب والطوابق العليا غرف نوم للتجار، وقد اشتهر في العصر المملوكي العديد من الوكالات منها وكالة الغوري (909-910هـ/1504-1505م) حيث تتكون وكالة الغوري من عدد من الطوابق تطل على ساحة مكشوفة، يقع أمام الغرف في الطوابق العلوية ممر يطل من خلاله على الصحن المكشوف يتوسطها نافورة ماء (اليـاور ،1989 ص447) (الشكل40، مخطط16).

كذلك وكالة قايتباي التي بنيت عام (885هـ/1480م) قرب باب النصر أحد أبواب القاهرة بالقرب من الجامع الأزهر، حيث جاء تصميم البناء عبارة عن طابقين الطابق الأول عبارة عن مخزنين لتخزين البضائع والطابق الثاني غرفا للنوم تفتح على ممر ويحتوي على ايوان يطل على الشارع الرئيسي، مدخل الوكالة مزيّن من الأعلى بصفوف من المقرنصات (حسن، 1981،ص82؛ لمعي ، 1984؛ Hillenbrand,1994،p.359؛ رزق، 2000) (الشكل41 ، المخطط17).

3.2.4 الحمامات

لقد حث الدين الإسلامي في العديد من الأحاديث النبوية الشريفة على النظافة في الجسد والمكان كقول الرسول صلى الله عليه وسلم (نظفوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود). عرفت الحمامات منذ العصور الكلاسيكية خاصة العصر الروماني، وفي العصور الإسلامية وجدت الكثير من الحمامات، وجاءت على نوعين حمامات عامة وحمامات خاصة بقصور الأمراء والسلاطين كحمامات القصور الأموية في بلاد الشام ممثلة بحمام قصير عمرة(93هـ/712م)، قصر الحائر الغربي

(109هـ/727م)، حمام خربة المفجـر(125هــ/744م)، وحمـام الـصرح (107هـ/725م)، غيرها من الحمامات التي أقامها الخلفاء الأمويون ، ويتكـون الحمام من عدة غرف على النحو التالي:-

1- غرفة تغيير الملابس (FRIGIDARIUM):- وهي غرفة الحمام البارد تواجه المدخل ويتم فيها تغيير الملابس استعدادا لدخول الحمام وغالبا ما تكون مسقوفة بأقواس متقاطعة(قناطر) بحيث تكون درجة حرارتها قريبة من درجـة حـرارة صالة الاستقبال.

2-الغرفة الدافئة (TEPIDARIUM):- وهي غرفة الانتظار التي تلي الحمـام البارد مباشرة وتكون درجة حرارتها أقل من درجة حرارة غرفة الحمام الساخن حتى لا يخرج المستحم إلى الجو الخارجي ويصاب بمرض، ويـتم تـسخينها بواسطة أنابيب رصاصية توضع تحت بلاط الأرضية ويضخ فيها الماء الساخن من بيت الحرارة.

3-غرفة الحمام الساخن (CALIDARIUM):- وتحتوي على أحواض تملأ بالماء الساخن للاستحمام والغطس داخلها وتكون، درجة حرارة الغرفة عالية بـسبب البخار الصاعد من الماء الساخن وتكون غالبا مسقوفة بقبة.

1- بيت الحرارة (HYPOCAUSTUM):- وهي الغرفة التي يتم فيها تـسخين الماء وتوفير الحرارة المناسبة لغرفة الحمام الساخن والغرفة الدافئة وذلك عبـر أنابيب فخارية توضع تحت بلاط الأرضية وتكون غالبـا مـسقوفة بـأقواس متعاكسة.

وكانت هذه الحمامات تزيّن بالرسومات الجدارية والفسيفساء بـصور حيوانيـة وآدمية ومشاهد صيد وتسقف عادة بالقباب(لمعي، 1984).

أما بالنسبة لحمامات العصر المملوكي فلم يبق منها سـوى أجـزاء بـسيطة كالمداخل وبعض الجدران والاختلاف البسيط بينها وبين حمامات مناطق بلاد الشام هو أنه لا يوجد نظام تسخين للغرفة الدافئة لأن الشتاء معتدل الحرارة في مصر إنما وجد بيت الحرارة لتسخين المياه فقط(لمعي، 1984).

ومن أشهر حمامات العصر المملوكي حمام الأمير بشتاك الذي بناه في القاهرة عام (742هـ/1339م) ولم يبق منه سوى المدخل المزيّن بالرخام (حسن،1981) (شكل 42).

كذلك حمام المؤيد شيخ الذي بناه في القاهرة عام (823هـ/1420م) حيث وجدت المقرنصات في المنطقة الانتقالية التي تحمل قبة بيت الحرارة (لمعي، 1984؛ رزق،2000) (الشكل43).

4.2.4 الأسبلة

مفردها سبيل وهي عبارة عن أماكن لتوفير المياه يقع غالبا في المجموعة السكنية الخاصة بالمساجد والمدارس والخانقاوات ويقدم خدمة توفير المياه للطلاب والعاملين في هذه الوحدات السكنية ولعامة المارة، ويتكون السبيل من غرفة تكسى جدرانها والأرضية بالرخام، وكذلك يوجد لها شباك يطل على الشارع الرئيسي ويكون مغطى بشبكة من معدن البرونز، كذلك يوجد في أرضية الغرفة خزان ماء يخزن فيه الماء ويسحب عند الحاجة. ويوجد لوح من الرخام في أسفل النافذة مثبته بكوابل حجرية توضع عليه الأكواب النحاسية التي تكون مربوطة بالشباك لتقديم المياه للمارة، أما سقف الغرفة فيصنع عادة من مادة الخشب ويتفنن المهندس في تزيينها بأشكال هندسية ومقرنصات بأشكال متعددة، (سداسية، وثمانية ودائرية)، ومنذ نهاية العصر المملوكي أصبحت الأسبلة توجد منفردة يعلوها مبنى الكتاب (لمعي ، 1984) ومن الأمثلة سبيل السلطان فرج بن برقوق الذي بناه عام (811هـ/1409م) في القاهرة، حيث جاء السقف مزخرف بصفوف من عنصر المقرنصات تنتشر حول جامة كبيرة بشكل دائري بأشكال متعددة على شكل أزهار وأغصان نباتات (نويصر ،1996 ؛ رزق، 2000) (الشكل44).

كذلك سبيل السلطان الغوري الذي بناه عام (909-910هـ/1504-1505م) حيث جاء سقفه مزيّن بصفوف من المقرنصات متعددة الأشكال (دائرية سداسية وثمانية) تحتوي على زخارف نباتية (الشكل45، المخطط18).

5.2.4 البيمارستانات (المستش‍يات)

البيمارستان كلمة فارسية مركبة من جزأين" بيما" تعني مريض،و" ستان" تعني مكان، أي مكان إيواء وعلاج المرضى. وقد بنى المسلمون منذ بداية العصور الإسلامية، حيث أقيم أول مستشفى في الإسلام في عصر الوليد بن عبد الملك بن مروان (86-96هـ/705-715م) في دمشق ثم بني مستشفى في عهد هارون الرشيد عام (170-193هـ/786- 809م) في بغداد. أما في مصر فقد أقيم أول مستشفى في عهد أحمد بن طولون عام (259-261هـ/872-874م).

أما في العصر المملوكي فقد بنيت عدة مستشفيات منها بيمارستان السلطان قلاوون الذي بناه عام (683-684هـ/1284-1285م) حيث كان ملحقا بمدرسة ومسجد قلاوون وقد قسم هذا المستشفى إلى عدة أقسام وقاعات منها ما هو للأمراض الباطنية ومنها للأمراض العقلية، كذلك عيادة خارجية لصرف الأدوية ومكتبة لكتب الطب، كذلك تم الفصل بين قاعات النساء والرجال إضافة إلى الخدمات العامة في هذا المستشفى من الحمامات وأبار مياه ومطابخ، لم يبق من هذا المستشفى سوى قسمين.

كذلك البيمارستان المؤيدي الذي بناه السلطان مؤيد شيخ عام (821-823هـ/1418- 1420م) في القاهرة حيث جاء المدخل الرئيسي معقود بصفوف من المقرنصات (لمعي ،1984؛ الياور،1989 ؛ رزق،2000) (الشكل 46، مخطط19).

ومن هنا ندرك مدى اهتمام السلاطين المماليك بالعمارة بشكل عام من حيث إنشاء المدارس والمساجد والكتاتيب والأسبلة والخانقاوات والخانات البيمارستانات والوكالات، وتجميل هذه المباني بأجمل أنواع الزخارف النباتية والهندسية والكتابية، مع وجود اهتمام زائد في العمارة الدينية من أضرحة ومساجد و مدارس وخانقاوات وأسبلة كمباني تابعة للمباني الدينية، لذلك فضلنا تصنيفها ضمن المباني الدينية مع أنها تعد مباني مدنية في الغالب، والاهتمام الزائد في المباني

الدينية ناتج عن مدى الالتزام الديني لدى السلاطين ومحاولة إظهاره للناس إضافة إلى الطمع بالأجر والثواب من عند الله إضافة إلى بناء الأضرحة (القباب) الخاصة لهم ضمن المجموعات التي ينشئها السلطان فتصبح مكان دال على قبره وعلى المباني التي شيدها هذا السلطان فنجد الكثير من هذه المجموعات عند البحث في العمارة المملوكية ومنجزاتها، لكن بعض هذه المجموعات اندثرت بفعل الزلازل والحروب والعوامل البيئية.

ويعد هذا العصر بحق العصر الذهبي لعنصر المقرنصات،الى جانب عمارة الاندلس والتي تعتبر من أشهر العناصر المعمارية والزخرفية التي وجدت بأشكال متنوعة وبكثرة في أماكن لم تكن موجودة فيها في العصور السابقة وبأنواع في غاية الروعة والجمال والدقة، إذ تعكس صورة للمشاهد وتجذب نظره من أول ما تقع عينيه عليه ولا تمل العين من التحديق في هذه الحنايا المصفوفة فوق بعضها بعض بطرق رياضية وهندسية متتالية دون عشوائية أو تصادف جاء مع المهندس صدفة بل جاء كل شيء كما خططه المهندس فنجد في المداخل والأروقة والمآذن والقباب وفوق الشبابيك والأسقف لغاية جمالية .

وظيفة وجمالية المقرنصات:

من خلال ما ذكرناه عند حديثنا في الفصل الأول عن نشأة المقرنصات وتطورها، يمكننا القول بإن المقرنصات في بدايتها وجدت لغاية وظيفة معمارية وهي الانتقال من الشكل المربع إلى الشكل الدائري تمهيدا لبناء القبة فوقها، وكانت هذه المقرنصات عبارة عن حنايا ركنية تقع في زوايا المربع لكن بعد تطور استخدام هذا العنصر خاصة في العصور العباسية والفاطمية والأيوبية والمملوكية كعنصر زخرفي تعددت وظائف المقرنصات وأماكن تواجدها،-

1- عنصر معماري:- استخدمت المقرنصات لعدة غايات حسب أماكن تواجدها وهي على النحو الآتي:-

أ. زوايا المربع:- وضعت كحنايا ركنية في زوايا المربع بغرض تحويل الشكل المربع إلى الشكل الدائري لحمل القبة. أما المقرنصات التي توجد في المنطقة الانتقالية أسفل القبة فقد وجدت لتخفيف الحمل الواقع على رقبة القبة والمبنى بشكل عام وتوزيع الحمل على كامل الشكل الدائري حتى لا يختل توزيع الحمل وتنهار القبة (حيدر، 1) .

ب. المآذن،- وجدت المقرنصات في المآذن بكثافة في هذا العصر خاصة تحت الشرفات وكان الهدف من وضعها تحت الشرفات للقيام بوظيفة حمل الشرفات بدلا من الكوابل الحجرية التي كانت توضع على شكل مسامير حجرية تحت الشرفات لحملها قبل ابتكار هذا العنصر وكذلك للانتقال من شكل لآخر في المآذن متعددة الطوابق.

العقود والأبواب

وجدت المقرنصات في الأبواب وبطن العقود لتخفيف الحمل الواقع على هذه العقود والعتبة العليا للأبواب من خلال دعمها لها، لتتمكن من توزيع الحمل عليها من الأعلى والانتقال من شكل الباب المستطيل إلى شكل العقد المقوس الذي يعلو الباب.

د. الأعمدة:- استخدمت المقرنصات في الأعمدة على نوعين في المحاريب وذلك لتخفيف الحمل الواقع على هذه الأعمدة من العقد الذي يحمل طاقية المحاريب. كذلك استخدمت المقرنصات في الأعمدة التي تقع في زوايا المبنى من الخارج وذلك لمعالجة أركان المبنى.

من هنا نلاحظأن عنصر المقرنصات جاء انتشاره بشكل واضح في المباني المملوكية وان هذا الانتشار لم يأتِ عبثا بل جاء لأداء وظائف متعددة حسب أماكن تواجدها.

2- كعنصر زخرفي.

استخدمت المقرنصات في كافة الأماكن التي يسمح لها التواجد فيها من مآذن ومحاريب وأروقة وأعمدة، وعقود وقباب لأداء وظائف معمارية إضافة لوظائف

زخرفية من خلال التناغم والتكرار الرائع البعيد عن التكرار الممل من خلال التلاعب في أبعاد هذه الحنايا وتعدد إشكالها من خلال تعدد الأبعاد، ومن هذه الوحدات التي تنتظم في صفوف متوازية مصفوفة فوق بعضها البعض تجذب نظر المشاهد من خلال النظرة الأولى بمجرد ما تقع عليها عين المشاهد.

فالاختلافات في تفاوت أبعاد وحدات المقرنصات والتداخلات والظلال التي تنشأ من خلال هذه التداخلات تعطي منظرا في غاية الروعة اضافة إلى النظر إليها من بعيد إذ تبدو كقرص الشهد الذي تبنيه النحلات بجهد وافر .

كل هذه الزخرفة لم تأتِ من فراغ إذ إنها تحتاج إلى وقت كبير من خلال تصميمها حتى الانتهاء من تنفيذها فالمهندس يبذل جهدا ذهنيا وجسديا كبيرا جدا يستغرق وقتا طويل لإخراجها بهذه الصورة الزخرفية الجميلة.

4.4 أنواع المقرنصات والأسس الهندسية لبنائها:-

□ □المقرن □ البسيط□□

وهو عبارة عن صف واحد من المحاريب متجاورة أو عبارة عن صفين فوق بعضهما البعض وغالبا ما يوجد من المقرنصات في الأعمدة في العصر المملوكي والمنابر مثل محراب جامع المؤيد ومنبره(لمعي، 1984)(شكل 22).

2□المقرن □ □و الدلايات□□

وهو مقرنص شبيه بالدلايات الموجودة في الكهوف(Stalactite) ظاهرة الصواعد والنوازل حيث تتدلى من أحد أضلاع الحنية أو المحراب قطعة زائدة تتجه إلى الأسفل وغالبا ما يوجد هذا النوع من المقرنصات في الأعمدة وفي البوابات ذات التاج المقرنص مثل مدخل قصر الأمير يشبك الذي بني عام(738هـ/1337م) (لمعي، 1984) (الشكل 47).

3- المقرنص ذو الحنايا المقوسة:-

وهو عبارة عن حنايا مقوسة من الأعلى تتدرج في صفوف فوق بعضها البعض مع اختلاف في أحجام وأنواع الزخارف التي توجد في هذه الحنايا فمنها ما هو مخطط بشكل طولي ومنها ما هو مزخرف بفروع نباتات ومنها ما هو أملس بدون زخرفة مثل قبة مدفن السلطان برقوق الذي بني ما بين عامي (786- 788هـ / 1384- 1386 م) وغالبا ما توجد في المنطقة الانتقالية للقباب (لمعي، 1984) (الشكل 20).

4-المقرنص ذو الحنايا المثلثة:-

ويختلف عن المقرنص ذو الحنايا المقوسة من حيث انه جاء من الأعلى على شكل مثلث رأسه للأعلى وهذا المقرنص يوجد في غالبية الأماكن التي ذكرناها سابقا كما في مدخل منبر خانقاه السلطان فرج بن برقوق التي بنيت عام(888هـ / 1483م) (أنظر لمعي، 1984) (الشكل 48).

5- المقرنص المركب:-

ويأتي ممزوجا بأكثر من نوع من الأنواع التي ذكرناها مع وجود اختلاف هو ان بعض هذه المقرنصات يأتي ذا حجم كبير يقسم من الداخل على شكل ثلاث حنايا واحدة بالوسط كبيرة وعلى طرفيها اثنين ذات حجم أصغر تشكل نصف الحنية الرئيسية والصف الذي يليه مقرنصات صغيرة وهكذا تتكرر العملية للنهاية (حسين، 1983) (الشكل49).

6-المقرنص ذو المركز المضلع:-

وهو عبارة عن مجموعة من الأشكال السداسية والثمانية الأضلاع في صفوف متوازية تحتوي على شكل دائري في مركزها في بعض الأحيان وتفصل بينها أشكال دائرة ومثلثة صغيرة كما في سقف مدفن قلاوون الذي بني عام (683- 684هـ / 1284- 1285م) (لمعي، 1984) (الشكل 50).

7-المقرنص ذو المركز الدائري:-

ويحتوي على أشكال دائرية مزينة بزخارف نباتية على شكل فروع الأشجار (أغصان) تتفرع منها أشكال ثلاثية الأضلاع مختلفة الأحجام وتنتشر هذه الدوائر حول شكل دائري على شكل زهرة قرص عباد الشمس مزخرفة بزخارف نباتية ملتوية حول بعضها البعض كما في سقف إيوان مدرسة السلطان برقوق التي بنيت عام (786-788هـ /1384-1386م) (لمعي، 1984) (الشكل 51).

الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في المجتمع المصري خلال العصر المملوكي

الحياة الاقتصادية

لقد شهد العصر المملوكي الكثير من المجاعات والأمراض كالطاعون والصراعات السياسية على اعتلاء عرش السلطة بين الأمراء والنواب وكذلك الفتن والحروب التي ترتب عليها سوء الأوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية من سرقة للأسواق والحوانيت وانتهاك أعراض النساء وقتل الرجال والأطفال مما أدى إلى إرهاق خزينة الدولة وبيت المال، كما كان لتصرفات السلاطين والأمراء الدور البارز في ذلك من خلال دفع الكثير من الأموال لشراء مماليك خاصين بهم لتوفير الحماية لهم من أعدائهم الداخليين والخارجيين كما كان لغزوات المغول والصليبيين على الدولة المملوكية عظيم الأثر على الحياة الاجتماعية والاقتصادية أما بالنسبة للوضع الاقتصادي فقد كانت تمارس العديد من الأنشطة الاقتصادية منها:-

1 الزراعة

وهي الحرفة الأساسية التي يعتاش منها السكان نظرا لتوفر مصدر مائي دائم (نهر النيل) وقد اهتم السلاطين المماليك بالزراعة من خلال إقامة الجسور ومقاييس النيل فقد كان هناك موظف يسمى كاشف الجسور يكشف على المناطق التي تحتاج إلى جسور زراعية كل هذه الأمور أدت الى تحسين المحاصيل الزراعية وزيادة كمية الغلال، ومن أشهر المحاصيل الزراعية البقوليات كالقمح والشعير الكتان قصب السكر وغيرها إضافة لأنواع كثيرة من الفواكه والخضراوات

وزهور الزينة والرياحين، وتربية الثروة الحيوانية كالأغنام والضان والدواجن والأبقار، وقد كانت تفرض على هذه الثروة ضرائب كبيرة جدا تعود إلى بيت المال (عاشور،1976أ).

2- الصناعة:

ازدهرت الصناعة في العصر المملوكي نظرا لتوفر الثروة والمال الكافي والمواد الخام، فالدولة المملوكية دولة حربية اشتهرت فيها صناعة السفن الحربية فقد كان في مصر سوقا كبير لبيع الأسلحة إضافة لصناعة المنسوجات لتوفر مواد الكتان والصوف والحرير ، كذلك صناعة المعادن كصناعة الأباريق والثريات والأدوات المنزلية كما اشتهرت صناعة الزجاج كالمشكاوات فقد كانت هناك مصانع للزجاج في الفسطاط والفيوم وغيرها وصناعة الخشب كالشبابيك والحواجز والمشربيات والصناعات الجلدية مثل صناعة السروج والصناعات الغذائية مثل قصب السكر(زيتون ، 2001 ؛ الزيدي، 2003).

3- التجارة:

كانت على نوعين داخلية وخارجية داخلية بين المدن المصرية وخارجية خارج المدن المصرية سواء في بلاد الشام أو مع الهند والصين واليمن والحجاز وغيرها واشهر طرق التجارة في العصر المملوكي :-

1. طريق تجارة مصر مع الشرق الاقصى.
2. طريقة تجارة مصر مع الغرب الاوروبي.

كما أن السلاطين المماليك اعتنوا بالتجارة من خلال توفير الحماية لها من القرصنة وتسهيل إجراءات الخروج والدخول على الثغور والموانىء للتّجارة البحرية (عاشور، 1976أ).

أما موارد ومصروفات بيت المال فهي على النحو الآتي:

-1

ضريبة الخراج، وتتفاوت حسب نوع وخصوبة الأرض.

2- ا

لزكاة، إما أن تدفع إلى السلطان أو نائبه أو أن يوزعها صاحبها بنفسه على الفقراء.

3- ا

لجوالي: وهي الجزية المقررة على أهل الذمة وتتراوح ما بين (25-10 دراهم) على الفرد الواحد حيث تدفع إلى شخص يعينه السلطان (الناظر) وتقسم بين بيت المال والإنفاق على أهل العلم.

4- ا

لثغور: وهي ما يؤخذ من التجار الداخلين إلى الموانيء المصرية.

5- ا

لمواريث الحشرية: وهي أموال من يموت وليس له وريث خاص ويجبى من قبل موظف يعينه السلطان.

6- م

ا يؤخذ من دار الضرب النقود (ذهب، فضة، ونحاس) ونسبته أربعة عشر درهما لكل ألف درهم تسك في دار الضرب.

7- ا

لمتجر، وهي مشاركة السلطان في التجارة بالذهب والقمح وكافة أنواع التجارة.

8-المعادن: أي المعادن المستخرجة من الأرض فهي ملك لبيت المال (زيتون، 2001).

أما الموارد غير الشرعية فهي:

1- ا

لمكوس: وهي الضرائب التي لا يوجد سند خاص يحدد قيمتها فكانت ترتفع وتنخفض حسب الوضع الاقتصادي وهي كثيرة جدا منها مكوس أهل الذمة والحجاج والقمح والفواكه وغيرها.

ا -2

لمصادرات: وهي ما يصادر من أموال العامة الذين تركوا البلاد وطردوا منهـا بعد الخروج على طاعة السلطان وتذهب في الغالب إلى مال السلطان لا لبيـت المال أو أن يكون السلطان على خلاف مع أحـد الأمـراء أو التجـار فيقـوم بمصادرة أمواله (الحجي، 1984).

م -3

ا يتحصل من بيع أو تأجير أملاك بيت المال من أراضٍ زراعية وغيرها مـن تجارة بأموال من بيت المال (البيومي، 1998).

هذه هي الأوضاع الاقتصادية فقد كانت تتعرض إلى الكثير من النكسات خلال هذا العصر مثل فيضان أو انخفاض مستوى نهر النيل وانتشار الأمراض والجـراد وغيرها كما لاحظنا دور الزراعة والصناعة والتجارة في رفد بيت المال بـالأموال الكثيرة التي تصرف على بناء المساجد والمكتبات والمدارس وغيرها وعلى موظفي الدولة والجيش والحملات العسكرية الخارجية.

2.5.4 الحياة السياسية والاجتماعية

يقسم المجتمع المصري خلال العصر المملوكي إلى عدة فئات أختلف دورها و مكانتها في المجتمع منها:

1- المماليك: وهم السلطة المتنفذة في المجتمع والمسيطرين على كل شـيء مـن مناصب إدارية وعسكرية ومالية وغيرها وينسبون في الغالب إلـى السلطان الذي اشتراهم.

ا -2

لمعممون: وهم أصحاب العمائم من موظفي الدولة والعلماء والأدبـاء والكتـاب والقضاة ولهم ميزات ومكانه خاصة في المجتمع نظرا لقدرتهم على التأثير فـي عامة الشعب، ويحظون باحترام السلاطين وتصرف لهم رواتب جيدة، لكن كانوا

أحيانا يتعرضون إلى المضايقات إذا تبدلت السلطة من خلال الـسلطان الجديـد (زيتون، 2001).

-3 ا

لتجار: كان لهم وضع جيد في المجتمع بسبب امتلاكهم للثروة ومساهمتهم فـي بناء المجتمع من خلال الضرائب التي تفرض عليهم ، لكن كانوا فـي بعـض الأحيان عرضة لطمع السلاطين بثرواتهم (لابدوس، 1987).

-4 ا

لصناع وأصحاب الحرف وغالبا ما ينتمون إلى نقابات خاصـة بهـم يرأسـها شيخهم يشكون إليه مشاكلهم وكان وضعهم الاجتماعي متوسط ليس لهـم نفـوذ كبير وثروتهم قليلة .

-5 ا

لعوام: وهم من المشردين والمعدمين فكانت حياتهم صعبة جدا يعانون من الفقر والجوع وانتشار الأمراض وليس لهم أي دور سياسـي وكـان عـددهم كبيـر يستغلون فترات الفتن والاضطرابات ليسرقوا وينهبوا الأسواق والبيوت ويعملون سـخرة عنـد الأمـراء والتجـار وطبقـة الـصناع وكبـار الإداريـين (الحجي، 1984؛ زيتون، 2001).

-6 أ

هل الذمة: وهم الأجانب في المجتمع المصري من نصارى ويهـود فقـد كـان عددهم كبير عاشوا في المجتمع المصري واندمجوا مع الفئات الأخرى وشـغلوا مناصب في الدولة إضافة إلى عملهم بالتجارة والصناعة، وفي بعض الأحيـان كانوا يتعرضون إلى المضايقات وهدم كنائسهم (الحجي، 1984).

-7 ا

لفلاحون: وهم غالبية الشعب وكانوا لا يحظون بأي احترام سـوى الاضـطهاد وليس لهم أي وزن سياسي يعانون دائما من الضرائب والمجاعات وانخفـاض النيل، وتعرضهم الدائم للسلب والنهب من طبقة العـوام فقـد كانـت ثـروات

محاصيلهم تذهب الى السلاطين والأمراء ولا ينالون منها الا القليل على الرغم من الجهد الذي يبذلونه (زيتون، 2001).

8- ا

لأعراب: وهم القبائل البدوية التي سكنت صحراء سيناء وكان عددهم كبير لم يرضوا بحكم المماليك، وكانوا كلما سادت الفوضى في البلاد يستغلون الفرصة للسرقة والنهب وتخريب الأسواق وقتل النساء، وكان الأمراء يعطونهم الإقطاعيات والهدايا مقابل حماية الحدود والمواصلات وطرق التجارة (عاشور،1962؛ بولياك، 1984).

3.5.4 الحياة الدينية

من المعروف أن المجتمع المملوكي يدين بالإسلام وعلى المذهب السنّي لكن كان هناك مناطق على المذهب الشيّعي على الرغم من محاولة الدولة الأيوبية القضاء على هذا المذهب، وقد اعتنى السلاطين المماليك وأمرائهم بالمباني الدينية طمعا بالأجر والثواب اضافة الى إخفاء الشرعية الدينية على حكم السلطان المملوكي وتقديم الصدقات لرجال الدين والصوفيين ومربي الأيتام والفقراء كذلك وجود الأقليات المسيحية واليهودية في المجتمع مما أوجد بعض الخلافات بين هذه الطوائف أحيانا، كذلك انتشار الطرق الصوفية خلال هذا العصر والدليل على ذلك كثرة الخانقاوات والربط التي يسكن فيها أتباع الطرق الصوفية للانقطاع عن الناس للعبادة، ومن هذه الفرق الفرقة الأحمدية والرفاعية وغيرها، أما بالنسبة للأعياد الدينية فهي كثيرة منها موسم الحج عيدي الأضحى والفطر وعيد عاشوراء ورأس السنة الهجرية والمولد النبوي وإحياء رمضان وغيرها من الأعياد (عاشور، 1962؛ الحجي، 1984 ؛ زيتون، 2001).

ومن خلال استعراضنا للحياة الاجتماعية والسياسية والدينية والاقتصادية في المجتمع المصري خلال العصر المملوكي نجد أنه كغيره من المجتمعات فيه العديد من الفئات تساهم في بناء المجتمع من خلال شغل وظائف معينة وتدوير عجلة

الحياة إضافة لوجود بعض الخلافات بين هذه الفئات واختلاف دورها السياسي حسب الثروة التي تمتلكها كل فئة التي تساهم بشكل كبير في مدى هيبة الفئة وزيادة وزنها السياسي، أما عامة الشعب والفلاحون فقد كانوا يعانون من الاضطهاد والظلم والفقر وانتشار الأمراض والأوبئة.

الفصل الخامس

الخاتمة والتوصيات والنتائج

1.5 الخاتمة

وبعد هذه الدراسة المتخصصة بعنصر المقرنصات توصلنا إلى العديد من الحقائق والمعلومات التي كانت غامضة قبل هذه الدراسة .

ومن هذه الحقائق هو التفريق بين عنصر المقرنصات والحنايا الركنية التي توجد في زوايا المربع لتحويله إلى الشكل الدائري لبناء القبة بعد ذلك، والتي هي في الأصل الفكرة الرئيسية التي تطورت لاحقا. حتى وصلت إلى عنصر المقرنصات التي هي عبارة عن ثلاث حنايا ركنية على الأقل لتشكيل عنصر المقرنص البسيط .

كذلك التعرف على أصل هذا العنصر ومراحل تطور هذا العنصر في العصور العباسية والفاطمية وصولاً الى العصر المملوكي، وانتقال مكانه في العمارة إلى أكثر من مكان وتعددت أشكاله والأسس الهندسية لبنائه.

والتعرف على العصر الذي استخدم فيه هذا العنصر بكثرة وتعددت أنواعه وأماكن تواجده، والتي تعد الذروة لهذا العنصر وهو العصر المملوكية إذ شاهدنا انتشاره في العمارة الدينية والمدنية كذلك تعدد أنواعه كما ذكرناها في الفصل الرابع ويعود ذلك إلى تعدد الوحدة الأساسية التي تتكون من مجموعها المقرنصات اضافة إلى الخلط بين أكثر من نوع من المقرنصات في المكان الواحد .

كما تمكنا من التعرف على الأسباب التي تجعل من عنصر المقرنصات عنصر فريد وما يجعله من العناصر المعمارية الجميلة التي تستخدم بكثرة كعنصر

زخرفي وعنصر معماري يؤدي وظيفتين جمالية وبنائية تجعل منه عنصر محبب ومرغوب للمهندس والفنان المسلم إذ يجعل بنايته في غاية الروعة والجمال.

اضافة إلى التعمق في العصر المملوكي من الناحية التاريخية والاقتصادية والسياسية والتعرف على اشهر سلاطينهم والمشاكل التي كانت تواجههم من مشاكل على السلطة أو مشاكل كالأمراض وفيضان النيل وما يسببه من مشاكل لعامة الشعب وكذلك علاقاتهم مع بلاد الشام والمغول والصليبين والعثمانيين وما كان يشوبها من غزوات ومعاهدات وغيرها .

3.5 التوصيات

أما بالنسبة للتوصيات فيتمنى الباحث ان يعود عنصر المقرنصات إلى المباني في البلاد العربية والإسلامية بالغزارة التي كانت في العصر المملوكي وإعادة إحياء فكرة استخدام هذا العنصر كوظائف معمارية وزخرفية كما كان، اضافة للمحافظة على المباني التي تحمل مثل هذا العنصر سواء في العصور السابقة أو الحالية إذ أننا نلاحظ تراجع بعد العصر المملوكي، مع أن العصر الحديث الذي تطور فيه العلم وأصبحت البيوت والمساكن والمباني العامة تصمم على أجهزة الكمبيوتر اضافة إلى توافر المواد الخام والمهندسون المعماريون إضافة إلى الاهتمام بالمباني القديمة التي تحتوي على هذا العنصر.

1- قلة المباني التي بنيت في عهد السلطان الظاهر بيبرس ربما يعود ذلك إلى الاضطرابات التي شهدتها فترة حكمه والتي امتدت حوالي سبعة عشر عاما وكذلك إلى الأوضاع الاقتصادية التي صاحبت مدة حكمه.

2- جاءت المباني في عهد السلطان المنصور قلاوون أفضل من سنوات الحكم التي سبقتها على الرغم من طول مدة حكم السلطان قلاوون والتي امتدت حوالي تسعة وعشرون عاما.

3- على عكس مدة حكم السلطان بيبرس والسلطان قلاوون السابقتين شهد حكم السلطان الناصر محمد بن قلاوون ازدهار العمارة المملوكية من حيث النهضة

العمرانية التي شهدتها سواء مباني دينية أو مدنية ويرجع ذلك لطول سنوات حكمه والتي استمرت حوالي أربعة وأربعين عام والتي لم نستعرض من مبانيها إلا ثلاثة مباني.

4- أما عهد السلطان ناصر الدين حسن فقد شهد نهضة عمرانية جيدة بالنسبة لطول مدة حكمه والتي وصلت إلى أحدى عشر سنة انقسمت إلى مرحلتين ولم نستعرض سوى مدرسة السلطان حسن.

عصر حكم السلاطين المماليك الجراكسة فقد شهد نهضة عمرانية غزيرة جدا توزعت على ستة وعشرين سلطان وجاءت على النحو التالي:-

أ. حكم السلطان برقوق امتد حوالي سبع سنوات أغلب العمائر الباقية دينية ذكرنا منها مبنى واحد وهو خانقاه السلطان سيف الدين بن برقوق.

ب. سنوات حكم السلطان فرج بن برقوق جاءت أغلب مبانيها دينية أوردنا منها خانقاه السلطان فرج توزعت على ثلاث عشرة سنة (سنوات حكمه).

ج- وفي الحديث عن المدة التي قضاها السلطان المؤيد في الحكم فقد شهدت العديد من المباني الدينية والمدنية تحدثنا عن إثنين منها وهما مدرسة المؤيد وحمامه ومن الجدير بالذكر أن حكمه امتد تسع سنوات.

د- بينما شهدت سنوات حكم السلطان خشقدم متوسطة المباني مقارنة مع طول مدة حكمه والتي استمرت سبع سنوات جاءت في غالبيتها مباني دينية ما عدا مقعد قايتباي الذي تحدثنا عنه.

هـ- حكم السلطان قايتباي فقد شهد نهضة عمرانية هي الأكثر عمرانا في تاريخ السلاطين المماليك مع فترة حكم السلطان الغوري التي سنتحدث عنها لاحقا، فقد شهدت نهضة عمرانية دينية ومدنية ذكرنا منها ثلاثة مباني مدنية(امتد تسلمه عرش الحكم حوالي تسعة وعشرون عام).

و- حكم السلطان الغوري شهد الكثير من المباني الدينية والمدنية ذكرنا منها مبنيين وكالة ومدرسة الغوري مع العلم أن مدة حكمه استمرت ستة عشر عاما.

3.5 النتائج

من خلال هذه الدراسة توصلنا إلى العديد من النتائج تمثلت في:

1- بداية ظهور عنصر المقرنصات في العصر الأموي من خلال الحنايا الركنية التي استخدمت في زوايا المربع لتحويله إلى الشكل الدائري لبناء القبة فوقه بعد ذلك.

2- استمر الوضع على ما هو عليه حتى وصلنا إلى العصر السلجوقي حيث استخدمت المقرنصات فيه بشكل جديد، تمثلت في زيادة عدد هذه الحنايا وترتيبها في صفوف منتظمة كما استخدمت في العصر الفاطمي بشكل متطور أكثر كعنصر للزينة وذلك في الواجهة الرئيسية لجامع الحاكم بأمر الله الفاطمي وفي مئذنته ، ثم جاء العصر الأيوبي الذي زاد فيه استخدام هذا العنصر في المباني بشكل ملحوظ ، كما في المدرسة الصالحية، حيث جاءت في المئذنه والواجهة الرئيسية كعنصر معماري وجمالي في نفس الوقت.

3- ومع قدوم العصر المملوكي لاحظنا استخدام عنصر المقرنصات بشكل هائل في المباني الدينية والمدنية.

4- وتعدد أغراض استخدام هذا العنصر وأماكن تواجده في المبنى الواحد ، كما توصلنا إلى وظائف هذا العنصر من خلال أماكن تواجده.

5- تعرفنا كذلك على السر الذي يكمن في جمال هذا العنصر وما يتركه من عظيم الأثر في نفس المشاهد إضافة إلى التعرف على أنواع هذا العنصر والوحدات البسيطة التي تكون هذه التحفه.

6- ومن خلال المقدمة التاريخية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية والدينية توصلنا إلى معرفة سلاطين المماليك، وفترات حكمهم وما صاحبها من أحداث وتطورات ، ودور هذه الأحداث في التأثير في النهضة العمرانية.

المراجع

أ. المراجع باللغة العربية

ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن الأتابكي.(1992). **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**، تحقيق محمد حسين، بيروت، دار الكتب العلمية.

ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم.(1977). **لسان العرب**، م3، تصنيف يوسف خياط، بيروت دار صادر.

الأزهري، أبو منصور.(2001).ج3، **معجم تهذيب اللغة** ، دار المعرفة.

إسماعيل، البيومي.(1998). **النظم المالية في مصر والشام زمن سلاطين المماليك**، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

الألفي، أبو صالح.(د.ت). **الفن الإسلامي**، دار المعارف، ط2،.

الباشا، حسن.(1979). **مدخل إلى الآثار الإسلامية**، القاهرة، دار النهضة العربية.

الباشا، حسن.(1990).**الآثار الإسلامية**، القاهرة، دار النهضة العربية،.

البلاذري، أبي العباس أحمد.(1987). **فتوح البلدان**، بيروت، مؤسسة المعارف، تحقيق عبدالله الطباع.

بولياك.(1948)**الإقطاعية في مصر وسوريا وفلسطين ولبنان**، منشورات دار المكشوف، ترجمة عاطف كرم.

توراو، بيتر.(2002). **الظاهر بيبرس**، قدمس للنشر والتوزيع، ترجمة محمد جديد،.

جودي، محمد حسين.(1998). **الفن العربي الإسلامي**، عمان، دار المسيرة.

الحجي، حياة الناصر.(1984). **أحوال العامة في حكم المماليك**، ط1، شركة كاظمة للنشر والترجمة والتوزيع.

الحداد، محمد.(1993). **السلطان المنصور قلاوون**، مكتبة مدبولي، القاهرة

حسن، زكي.(1981). **فنون الإسلام**، دار الرائد العربي.

حسين، خالد.(□□□1). **ال□□رفة في ال□نو□ الإسلامية**، مطبعة اوفسيت الوسام، بغداد.

الحنفي، محمد بن أحمد بن إياس□(1974)□ **بد□□ ال□□ور في وق□□□ ال□د□ور**، تحقيق محمد مصطفى، القاهرة دار إحياء الكتب.

حيدر، كامل.(1994). **العم□ارة العربي□ة الإس□لامية ال□□ص□ □ الت□طيطي□ة للمقرنصات**، بيروت، دار الفكر اللبناني.

حيدر،كامل.(□□□1). **العمارة العربية الإسلامية نشو□ المدار □ الإسلامية و□ص□صها في العصر العباسي**، دار الفكر اللبناني.

الخضر، عبد المعطي.(د.ت). **تاري□ العمارة**، مديرية الكتب والمطبوعات.

خضر، محمد يوسف.(2002). **تاري□ ال□نو□ الإسلامية الدقيقة**، دار السويدي.

ر□□، **عاصم محمد□(2000)**□ معجم مصطلح العمارة والفنون الإسلامية، **القا□رة، مكتبة مدبولي□**

الرفاعي، أنور.(□□□1)□ **تاري□ ال□□ عند العرب والمسلمي□**، ط2، دار الفكر.

الريحاوي، عبدالقادر□(1991)□ العمارة في الحضارة الإسلامية، **مطاب□ جامعة المل□ عبدالع□ي□□**

الزاوي، الطاهر.(1982). **ترتيب القامو □ المحيط**، ج3، دار الفكر.

الزبيدي، محمد مرتضى.(1976). **تا□ العرو □ م□ جوا□ر القامو □**، ج16، مطبعة حكومة الكويت.

□قلمة، □نور□(1995)□ المماليك في مصر، **مكتبة مد بولي، القا□رة□**

زيتون، عادل.(2001). **تاري□ الممالي□**، منشورات جامعة دمشق.

ال□يدي، م□يد□(□200)□ موسوعة التاريخ الإسلامي (العصر المملوكي)، **دار □سامة□**

سامح، كمال الدين.(1982). **العمارة في صدر الإسلام**، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

سامح، كمال الدين.(1987). **العمارة الإسلامية في مصر**، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

السخاوي، شمي الدين محمد .(1980). الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، منشورات دار مكتبة الحياه، بيروت.

السعيد، عبدالله.(1987). المستشفيات الإسلامية من العصر النبوي إلى العصر العثماني، **دار الضياء.**

السيوطي، جلال الدين.(1988). **تاريخ الخلفاء**، دار الكتب العلمية، بيروت.

شافعي، فريد.(1982). العمارة العربية الإسلامية، **شركة الطباعة العربية السعودية.**

الشهابي، قتيبة.(1996). **معارف العمارة الإسلامية**، دمشق، منشورات وزارة الثقافة.

الصمادي والمحاسنة،. (2004). النهضة العمرانية في مصر في خلافة الحاكم بأمر الله الفاطمي، عدد9، **مجلة العلوم الانسانية**، البحرين، ص50-51.

صيداوي، حيّان.(1992). **الإسلام وهوية تطور العمارة العربية**، دار المتنبي ودار قابس.

ضومط، أنطوان خليل.(1980). **الدولة المملوكية التاريخ السياسي والاقتصادي والعسكري**، دار الحداثة.

طقّوش، محمد سهيل.(1997). **تاريخ المماليك في مصر وبلاد الشام**، دار النفائس.

عاشور، سعيد عبد الفتاح .(1962).**المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك**، دار النهضة العربية، لبنان.

عاشور، سعيد عبد الفتاح. (1976). **الأيوبيون والمماليك في مصر والشام**، ط2، دار النهضة العربية، لبنان ..

عاشور، سعيد عبد الفتاح.(1976).**العصر المماليكي في مصر والشام**، دار النهضة العربية، لبنان.

العبادي، أحمد.(1969). **قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام**، ط2، دار النهضة العربية، لبنان.

عبد الجواد، توفيق.(1970). **تاريخ العمارة والفنون الإسلامية**،ج3، حقوق الطبع محفوظة لدى المؤلف.

عبدالحميد، سعد زغلول.(1986). **العمارة والفنون في دولة الإسلام**، الإسكندرية منشأة المعارف.

عبدالرزاق، أحمد.(2002). **العمارة الإسلامية في العصرين العباسي والفاطمي**، دار القاهرة.

عبدالعليم، فهمي.(2003). **العمارة الإسلامية في مصر عصر المماليك الجراكسة (عصر المؤيد شيخ)** ،مطبعة المجلس الأعلى للآثار.

عبده، قاسم.(2003). **في تاريخ الأيوبيين والمماليك**، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية.

عثمان، محمد.(1992). **موسوعة الفنون العربية الإسلامية**، دون مطبعة.

العريني، الباز.(1967). **الفروسية في مصر في عصر سلاطين المماليك**، دار النهضة العربية، لبنان.

عكاشة، ثروت.(1994). **القيم الجمالية في العمارة الإسلامية**، القاهرة، دار الشروق.

علام، نعمت إسماعيل.(1982). **فنون الشرق الأوسط في العصور الوسطى**، ط3، دار المعارف.

العودات، أحمد وآخرون.(1990). **تاريخ المغول والمماليك**، دار الكندي.

عيسى، أحمد.(1989). **الفنون الإسلامية**، دار الفكر.

غالب، عبد الرحيم.(1988). **موسوعة العمارة الإسلامية**، بيروت، جروس بروس.

فكري، أحمد.(1965). **مساجد مصر ومدارسها**، دار المعارف.

الفيروز آبادي، مجد الدين محمد.(1998). **القاموس المحيط**، ط6، مؤسسة الرسالة، لبنان.

قاجة، جمعة أحمد.(2001). **موسوعة فن العمارة الإسلامية**، بيروت، دار الملتقى للطباعة والنشر.

القلقشندي، أحمد بن علي.(1987). **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، شرح محمد شمس الدين، ج3، دار الكتب العلمية.

لابدوس، ايرا.(1987)، **مدن إسلامية في عهد المماليك**، الأهلية للنشر والتوزيع.

لمعي، صالح.(1984). **التراث المعماري الإسلامي في مصر**، بيروت، دار النهضة العربية.

ماهر، سعاد محمد.(1979). **مساجد مصر وأولياؤها الصالحون**، ج3، مصر، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

محمد، غازي رجب.(1989). **العمارة العربية في العصر الإسلامي في العراق**، بغداد، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.

مصطفى، إبراهيم وآخرون.(د.ت)، **المعجم الوسيط**، ج1، دار الدعوة.

المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي.(1971). **المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المسمى الخطط المقريزية**، القاهرة.

المنصوري، بيبرس.(1993). **مختار الأخبار**، الدار المصرية اللبنانية، تحقيق عبدالحميد صالح.

موير، وليم.(1995)، **تاريخ دولة المماليك في مصر**، مكتبة مد بولي، القاهرة.

نايف، وجدان علي.(1988). **سلسلة التعريف بالفن الإسلامي**، دار البشير.

نظيف،أحمد عبد السلام.(1989). **دراسات في العمارة الإسلامية**،القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

نوار، سامي محمد.(د.ت). **الكامل في مصطلحات العمارة الإسلامية من خلال بطون المعاجم اللغوية**، الإسكندرية، دار الوفاء.

نويصر، حسني.(1996). **العم□ارة الإس□لامية ف□ي م□صر(ع□صر ال□ي□وبيي□ والمماليـ□)**، مكتبة زهراء الشرق.

وزيري، يحيى.(1999). **موسوعة عناصر العمارة الإسلامية**، مكتبة مدبولي، القاهرة.

الياور، طلعت.(1989). **العمارة العربية الإسلامية في م□صر**، بغداد، مطبعة وزارة التعليم العالي.

يحيى، سوسن سليمان.(2002). **□ثارنا الإسلامية**، ط1،دار نهضة الشرق.

اليسوعي، يوسف.(1927). **المنجد في الل□ة وال□علام**، مطبعة الكاثوليك للآباء اليسوعيين، لبنان.

الثويني،علي، **المقرن□ في العمارة الإسلامية** .متوفر عبر. www.Googal. Com

المراج□ ال□جنبية:

Alasad,Mohammad,1994,**TheMosque:History,Architectural Development Reqional Diversity**, (Islamic Festival), EditedBy Martin -Freshma And Hasanuddin Khan, London, Thumes And Hudson LTD.

Creswell, K.A.C.1979, **Early Muslim Architecture**, 3Vols. New York: Hacker Art Book.

Erabar,Oleg,1973,**The Formation Of Islamic Art**, london: Yale University Press.

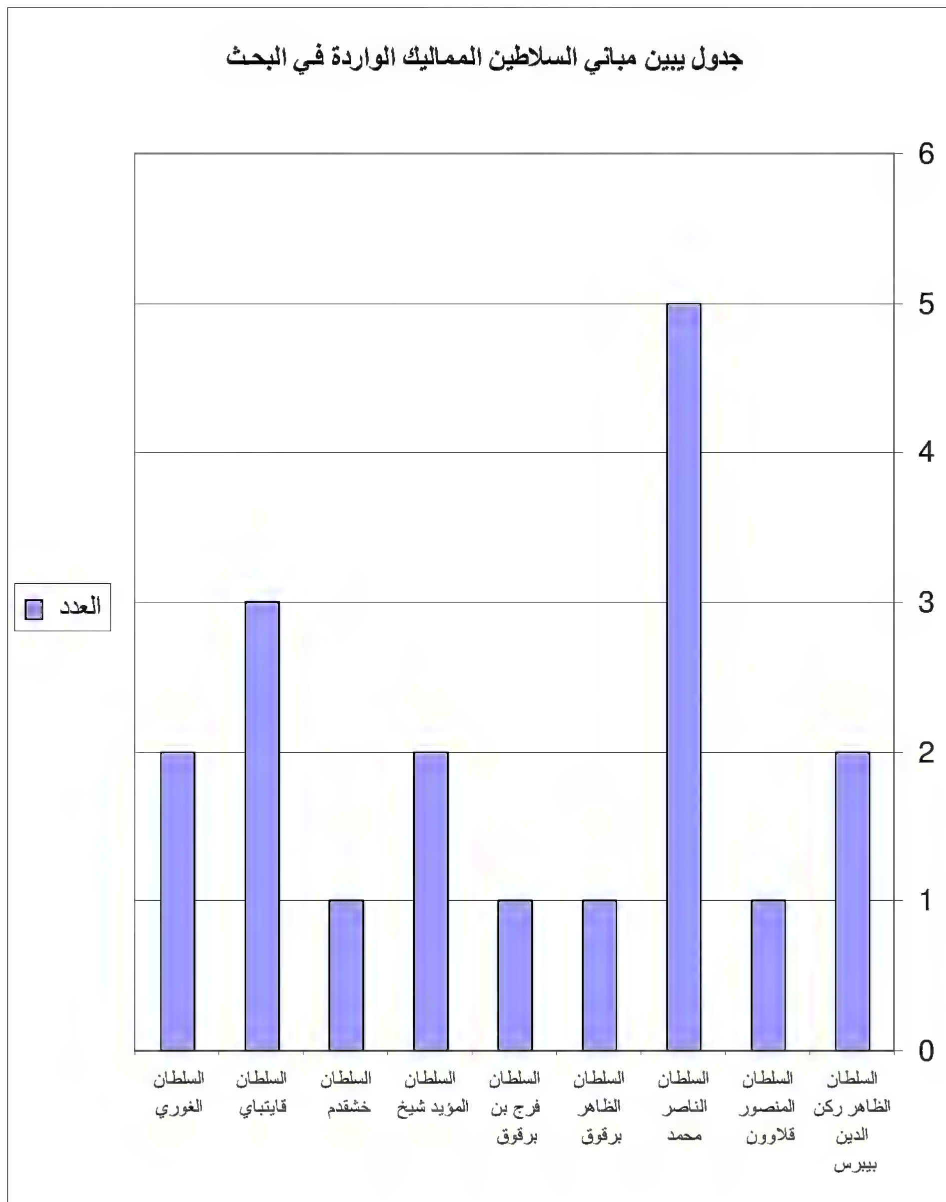
Hillenbrand, Robert, 1994, **Islamic Architecture, Form, Function and Meaninig.** Edinburgh: Edinburgh University Press.

Meinecke,Michael,1992, **Die Mamlukische Architetur in Agypten And Syrien**, Gluckstadt: Verlag J.J. Augustin Gmbh.

الملد□(□)

جداول تتعل□ بمو□و□ الدراسة

جدول رقم (□)



جدول يبين مباني السلاطين المماليك الواردة في البحث
العدد
0
1
2
3
4
5
6
السلطان الغوري
السلطان قايتباي
السلطان خشقدم
السلطان المؤيد شيخ
السلطان فرج بن برقوق
السلطان الظاهر برقوق
السلطان الناصر محمد
السلطان المنصور قلاوون
السلطان الظاهر ركن الدين بيبرس

جدول رقم (2)

جدول يبين توزيع مباني السلاطين المماليك الواردة في البحث

السلطان الظاهر ركن الدين بيبرس، (□□-□□□هـ/□□12-□□12م)

اسم ا□ثر	تاري□ بنا□ ا□ثر	موق□ ا□ثر
مدرسة الظاهر بيبرس	**660□662□ □1262□ 1263م**	**حي النحاسي□**
جامع الظاهر بيبرس	665- 667هـ/1266-1269م	حي الظاهر

السلطان المنصور قلاوون، (678-689هـ/1279-1290م)

اسم الأثر	تاري□ بنا□ ا□ثر	موق□ ا□ثر
مجموعةالمنصور قلاو□	683-684هـ/1285-1286م	**حي النحاسي□**

السلطان الناصر محمد للمرة الثانية، (□□-□□□هـ/□□12-□□□1م)

اسم الأثر	تاري□ بنا□ ا□ثر	موق□ ا□ثر
خانقاه بيبرس الجاشنكيز	706-709هـ/1306-1310م	حي الجمالية

السلطان الناصر محمد للمرة الثالثة، (709-741هـ/1310-1341م)

اسم ا□ثر	تاريخ بناء الأثر	موق□ ا□ثر
قصر الأمير يشبك	730هـ/1337م	ميدان القلعة
قصر الأمير بشتاك	735-740هـ/1334-1339م	شارع المعز
حمام بشتاك	742هـ/1341م	**شار□ الجمالية**

السلطان الظاهر برقوق، (784-791هــ/1383-1388م) والمــرة الثانيــة (792-801هـ/1389-1399م)

اسم الأثر	تاريخ بناء الأثر	**موقع الأثر**
خانقاه برقوق	786-788هـــــــــ/1384-1386م	شارع المعز

جدول (3)

جدول يبين توزيع مباني السلاطين المماليك الواردة في البحث

السلطان فرج بن برقوق، (801-808هــ/1399-1406م) والمــرة الثانيــة (809-815هـ/1406-1412م)

اسم الأثر	**تاريخ بناء الأثر**	**موقع الأثر**
خانقاه فرج	803-811هـ/1400-1406م	**جبانة المماليك**

السلطان المؤيد شيخ، (815-824هـ/1412-141421م)

اسم الأثر	**تاريخ بناء الأثر**	**موقع الأثر**
مدرسة المؤيد	818-823هـ/1415-1420م	تحت الربع
حمام المؤيد	823هـ/1420م	تحت الربع

السلطان خشقدم، (865-872هـ/1461-1468م)

اسم الأثر	**تاريخ بناء الأثر**	**موقع الأثر**
مقعد قايتباي	865هـ/1460م	**جبانة المماليك**

السلطان قايتباي، (872-901هـ/1472-1496م)

اسم الأثر	تاريخ بناء الأثر	موقع الأثر
وكالة قايتباي	881هـ/1477م	**شارع التبليطية**
وكالة قايتباي	885ـ886هـ/1480-1481م	باب النصر
مقعد ماماي	901هـ/1496م	**بيت القاضي**

السلطان الغوري، (906-922هـ/1501-1516م)

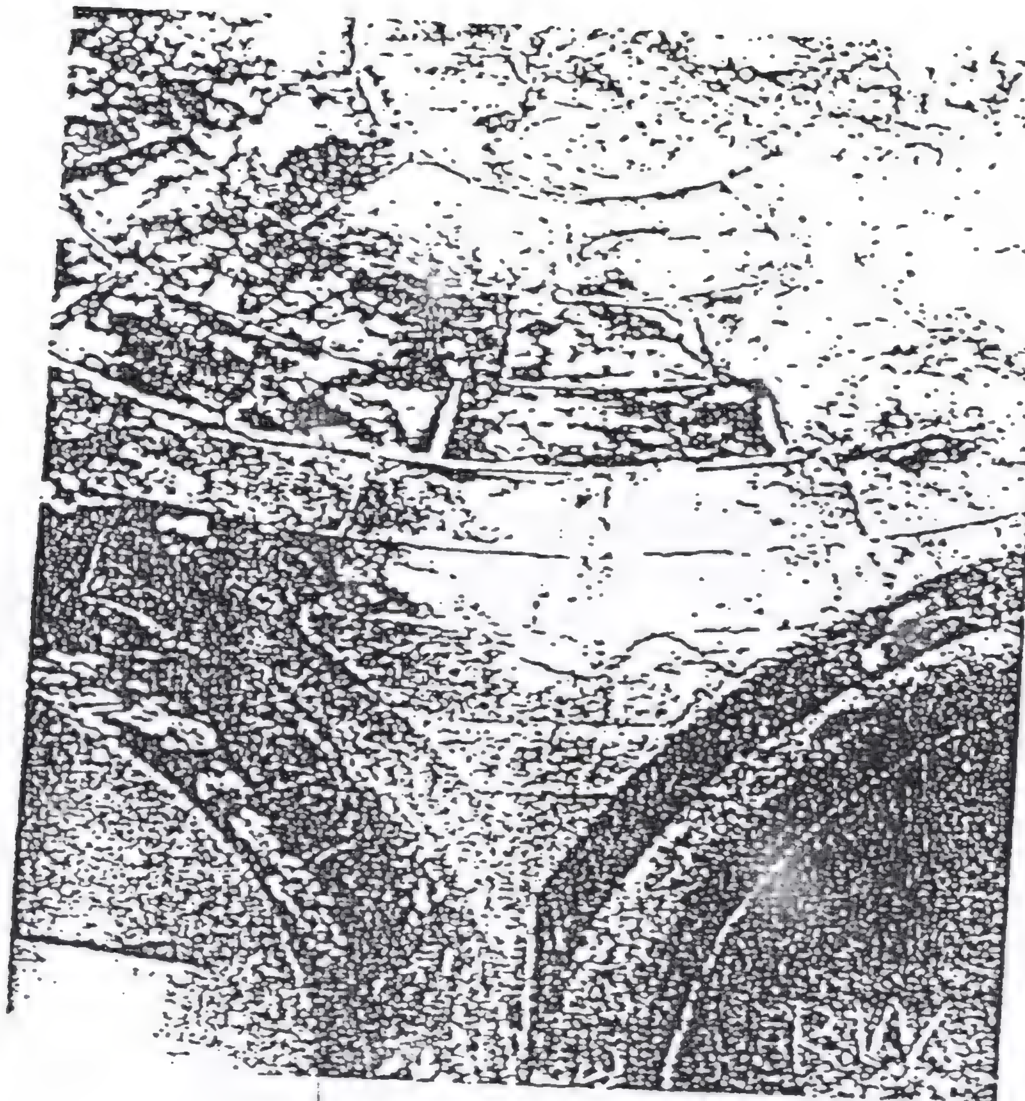
اسم الأثر	تاريخ بناء الأثر	موقع الأثر
مدرسة الغوري	909-910هـ/1504-1505م	**الغورية**
وكالة الغوري	909-910هـ/1504-1505م	الغورية

ملحق (ب)

الأشكال

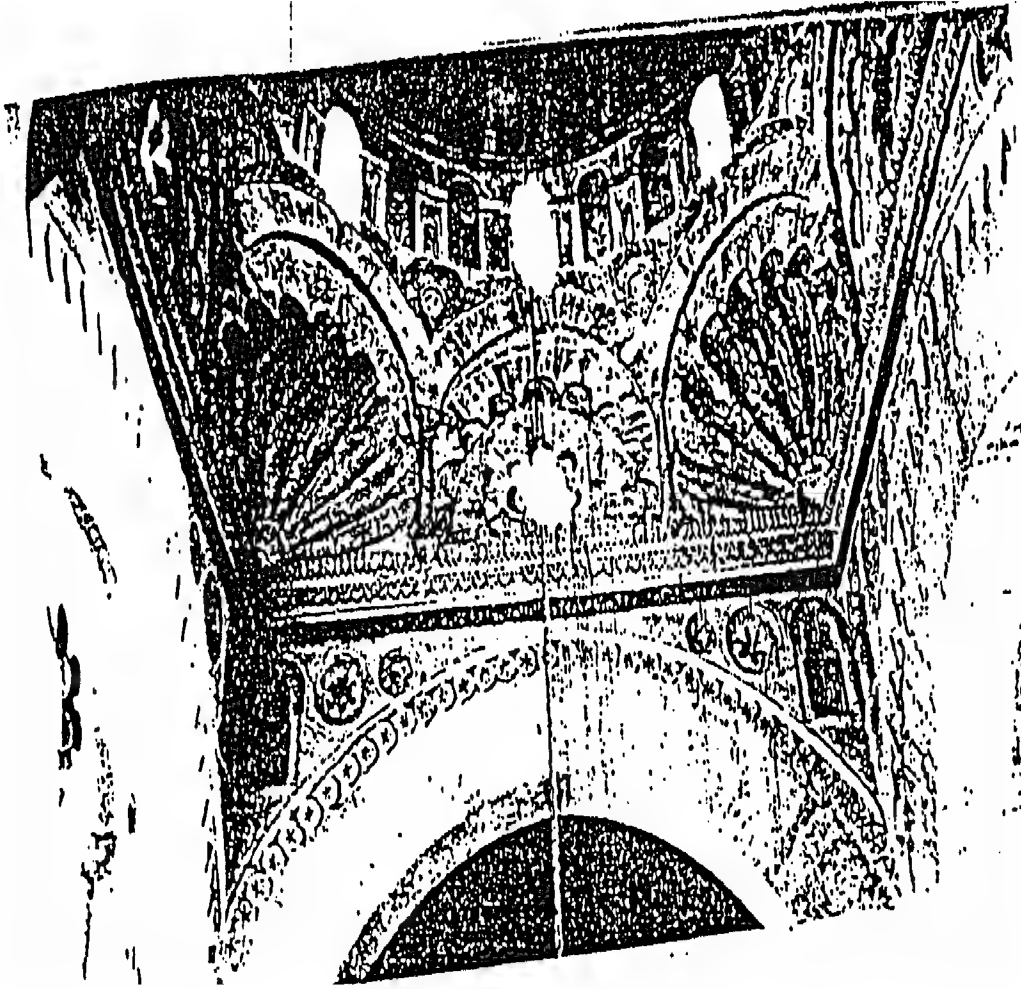
الشكل رقم (1)

حنية مثلثة(علوب، 2004)



الشكل رقم(2)

حنايا ركنية مقوسة(Hillenbrand)



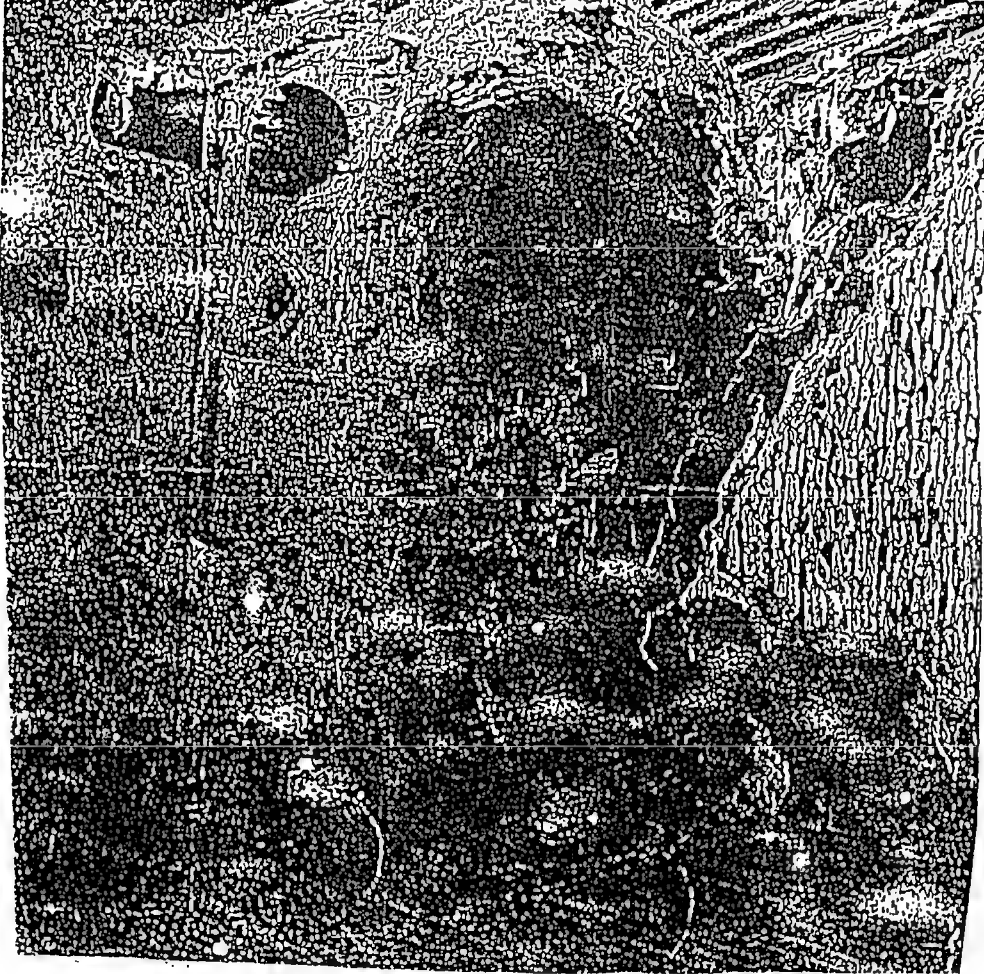
الشكل رقم (3)

قصير عمرة (شافعي،1982)



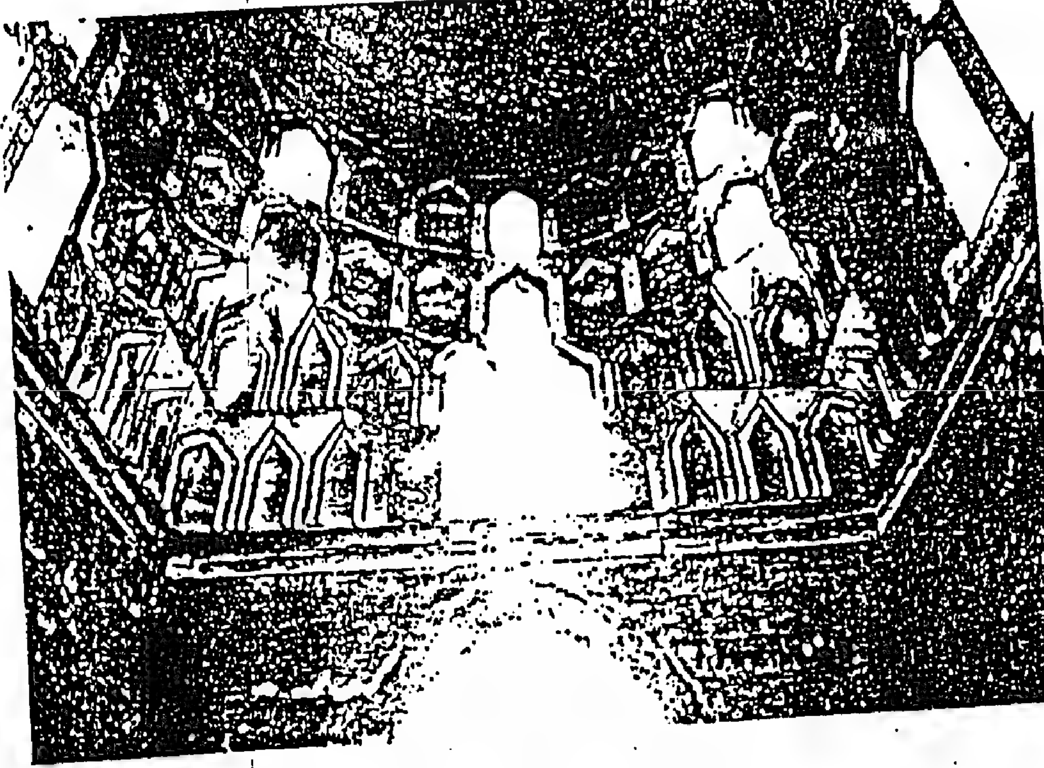
الشكل رقم (4)

قصر ا□□ي □ر (Hillenbrand)



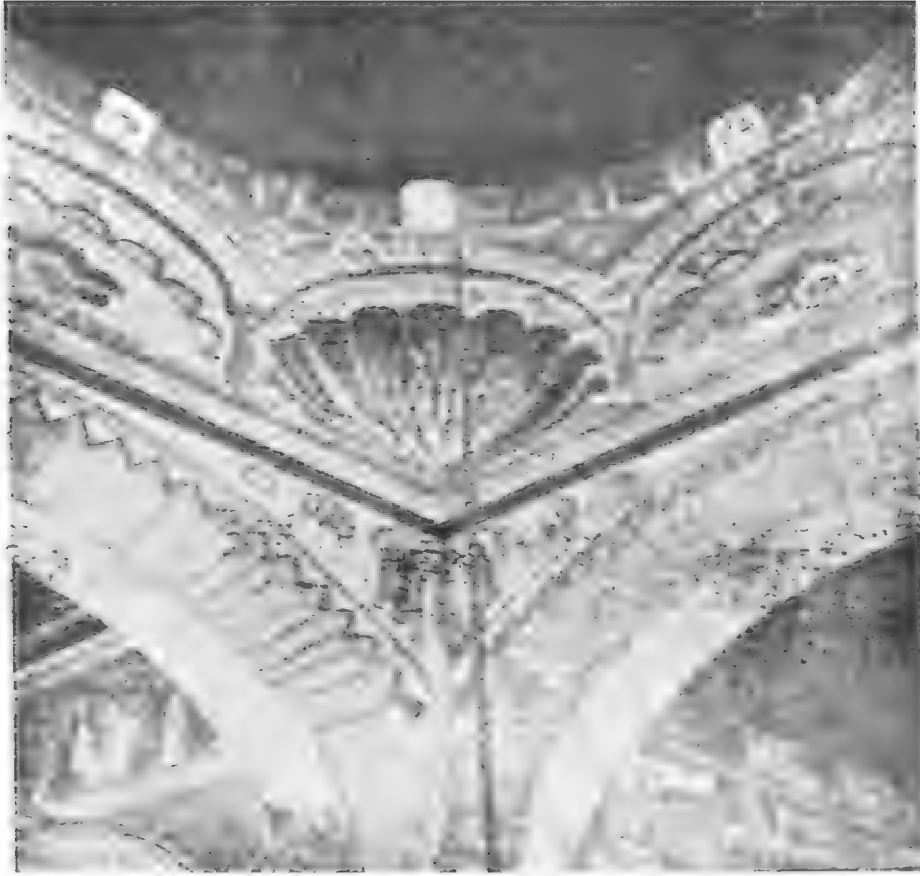
الشكل رقم(5)

قبة جام□□حمد ب□ طولو□ (Meinecke,1992)



شكل رقم (6)

قبة جام□ القيروا□ (سام□، 1982)



الشكل رقم(7)

المئذنة الشمالية جامع الحاكم بأمر الله (عكاشة،1994)



الشكل رقم (8)

□ري□ السب□ بنات (الياور، 1989)



الشكل (9)

مئذنة جامع الجيوشي(عكاشة، 1994)



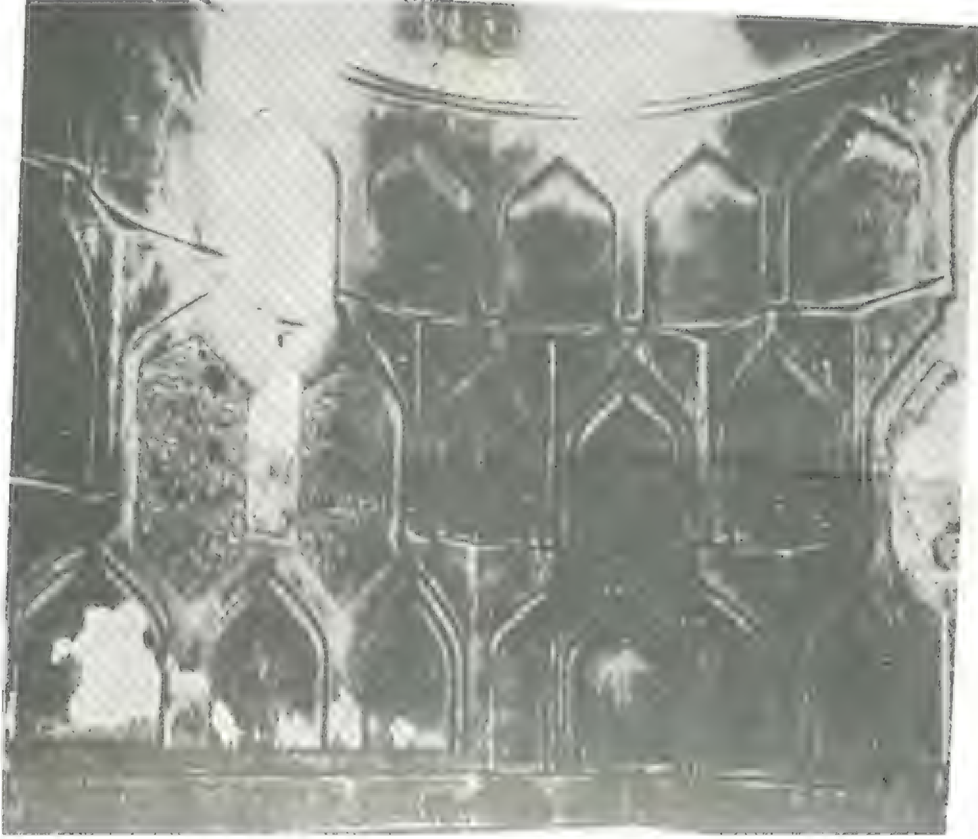
الشكل رقم(10)

قبة ضريح الإمام الشافعي (عكاشة، 1994)



الشكل رقم(11)

قبة ضريح الخلفاء العباسيين(الياور، 1989)



الشكل رقم (12)

مدخل المدرسة الصالحية(لمعي، 1984)



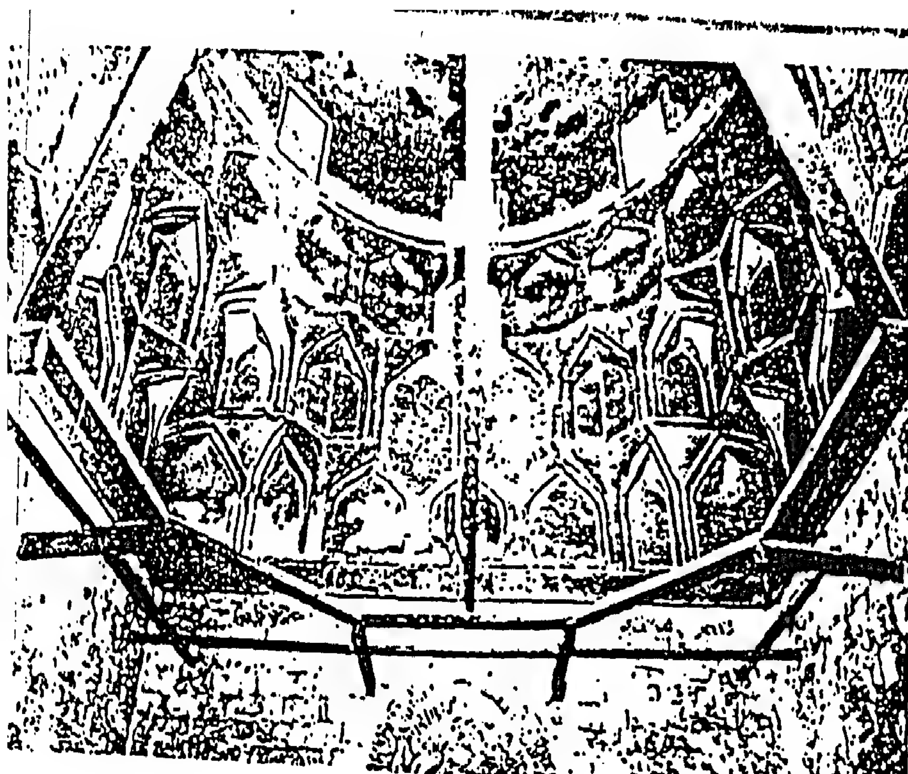
الشكل رقم (13)

م□نة المدرسة الصالحية (لمعي،1984)



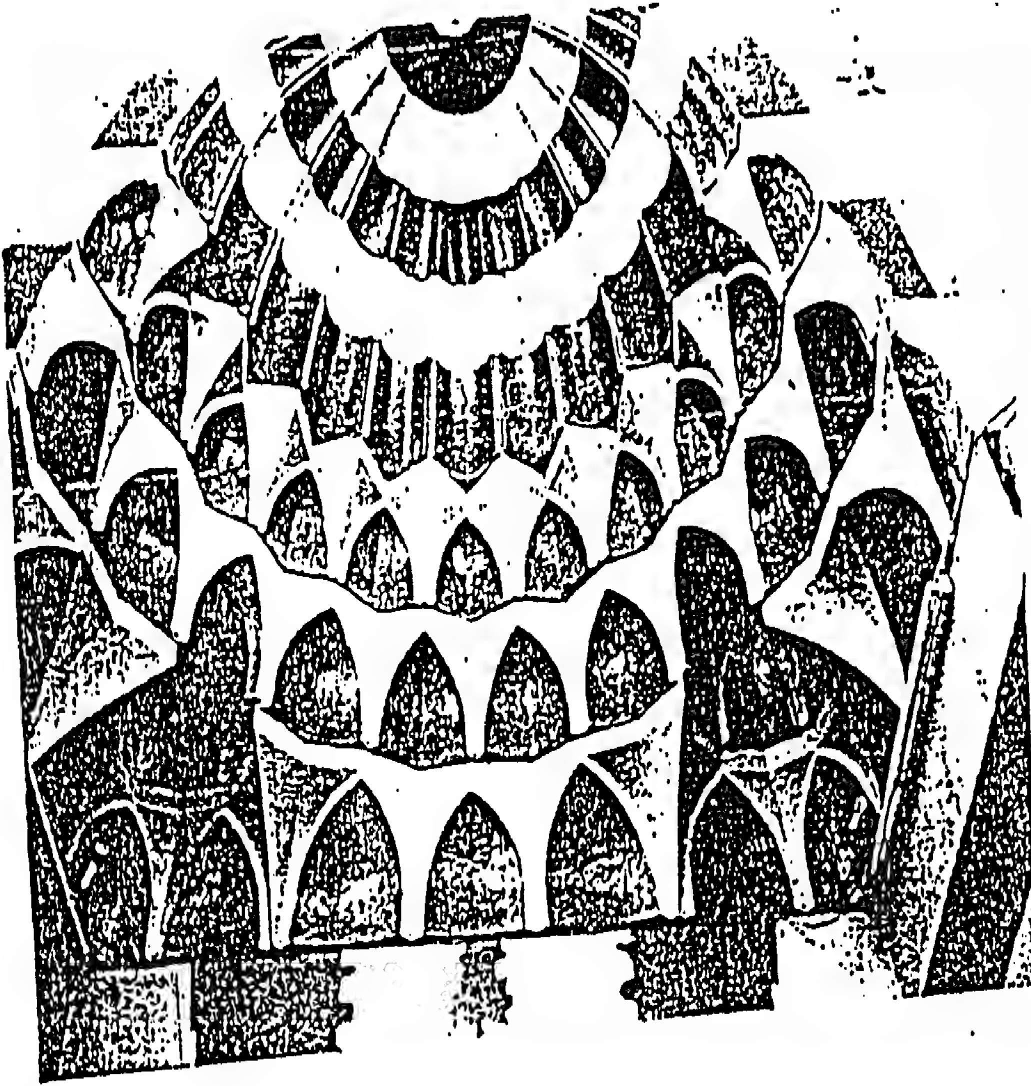
الشكل رقم(14)

ضريح الصالح نجم الدين أيوب (Meinecke,1992)



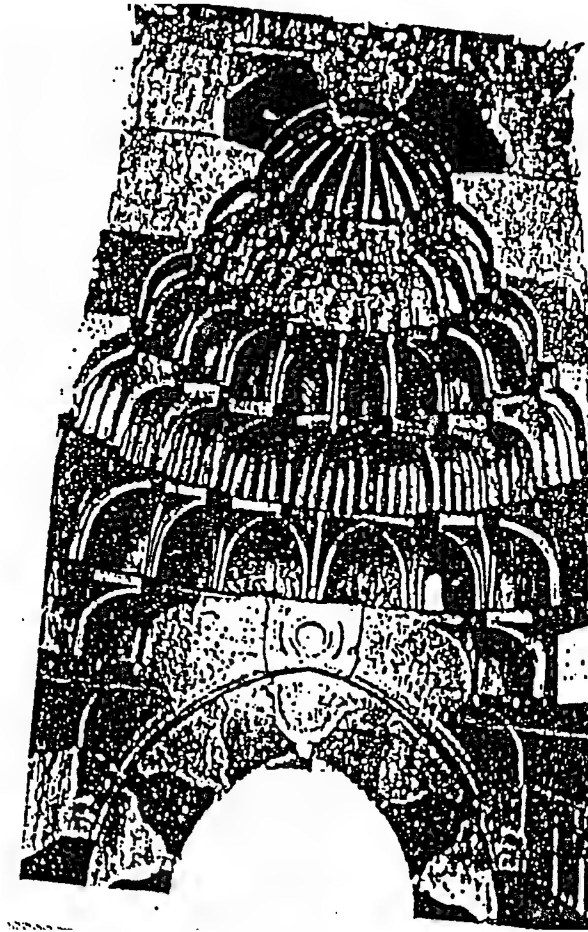
الشكل رقم (15)

بوابة جامع التوبة (الشهابي، 1996)



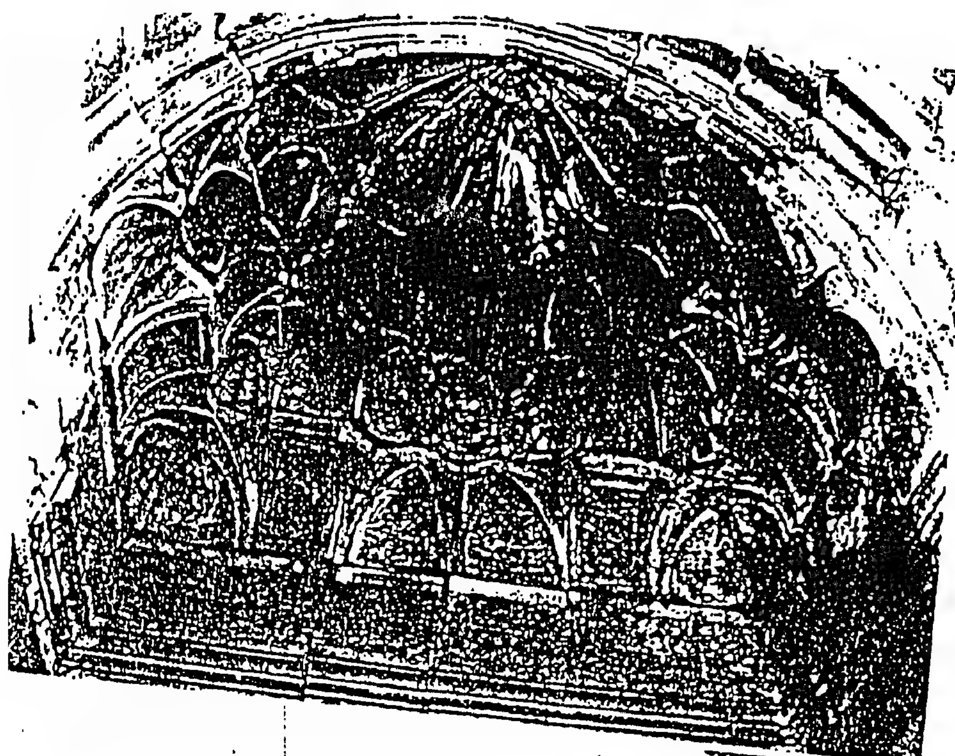
الشكل رقم (16)

بوابة المدرسة الأتابكية(الشهابي، 1996)



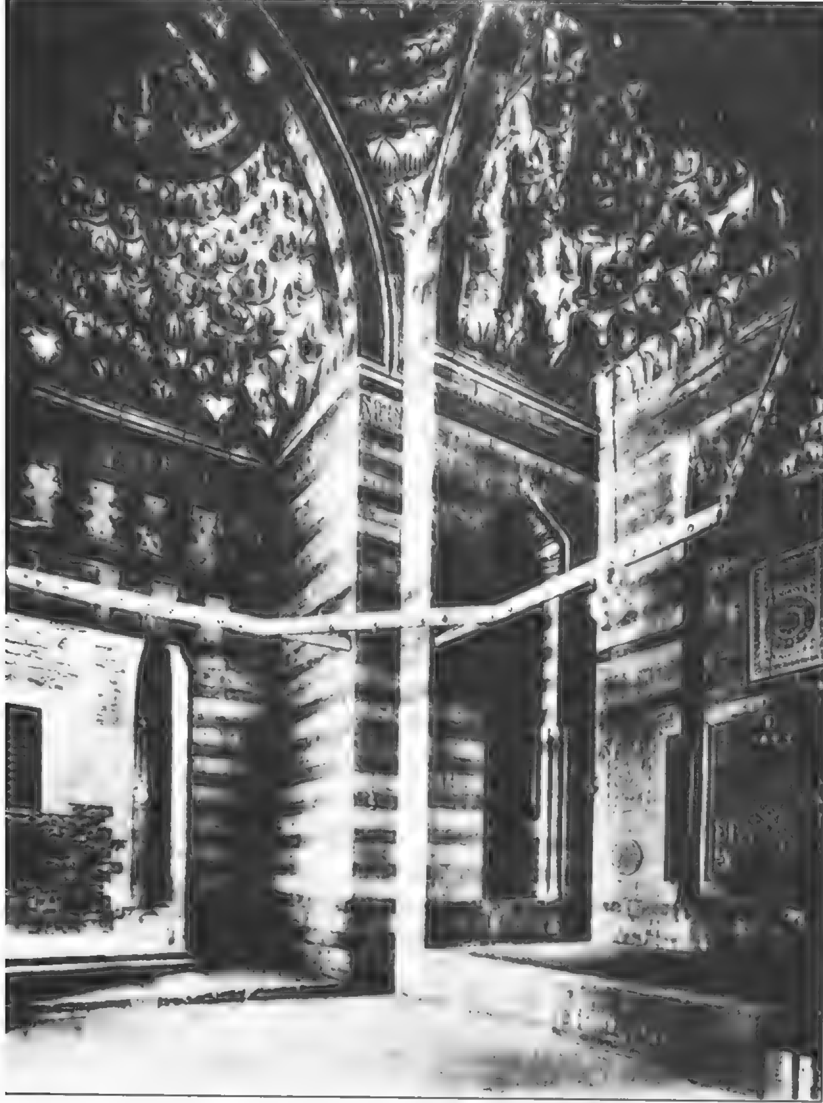
الشكل رقم (17)

بوابة البيمارستان القميري(الشهابي، 1996)



الشكل رقم (18)

قبة مدرسة السلطان حسن (عكاشة، 1994)



الشكل رقم (19)

قبة ضريح السلطان برقوق(لمعي،1984)



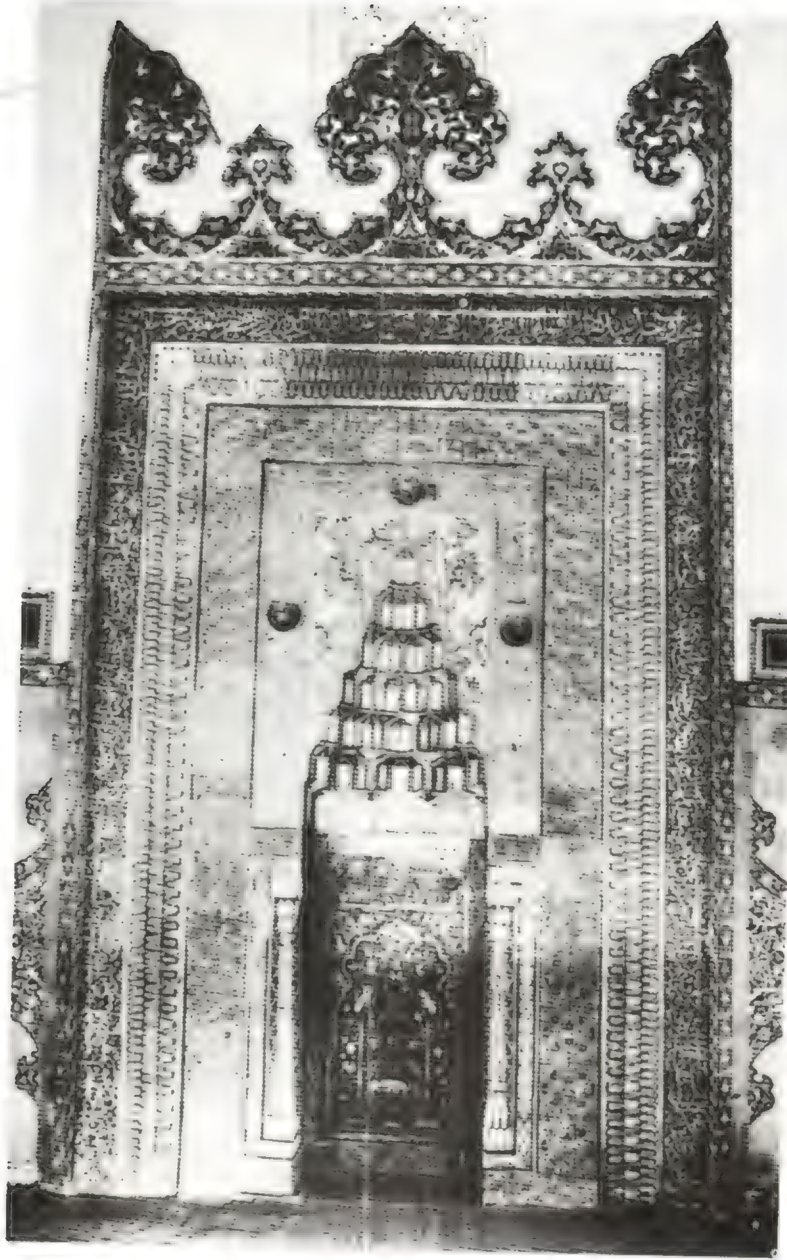
الشكل رقم (20)

قبة ضريح السلطان فرج(عكاشة، 1994)



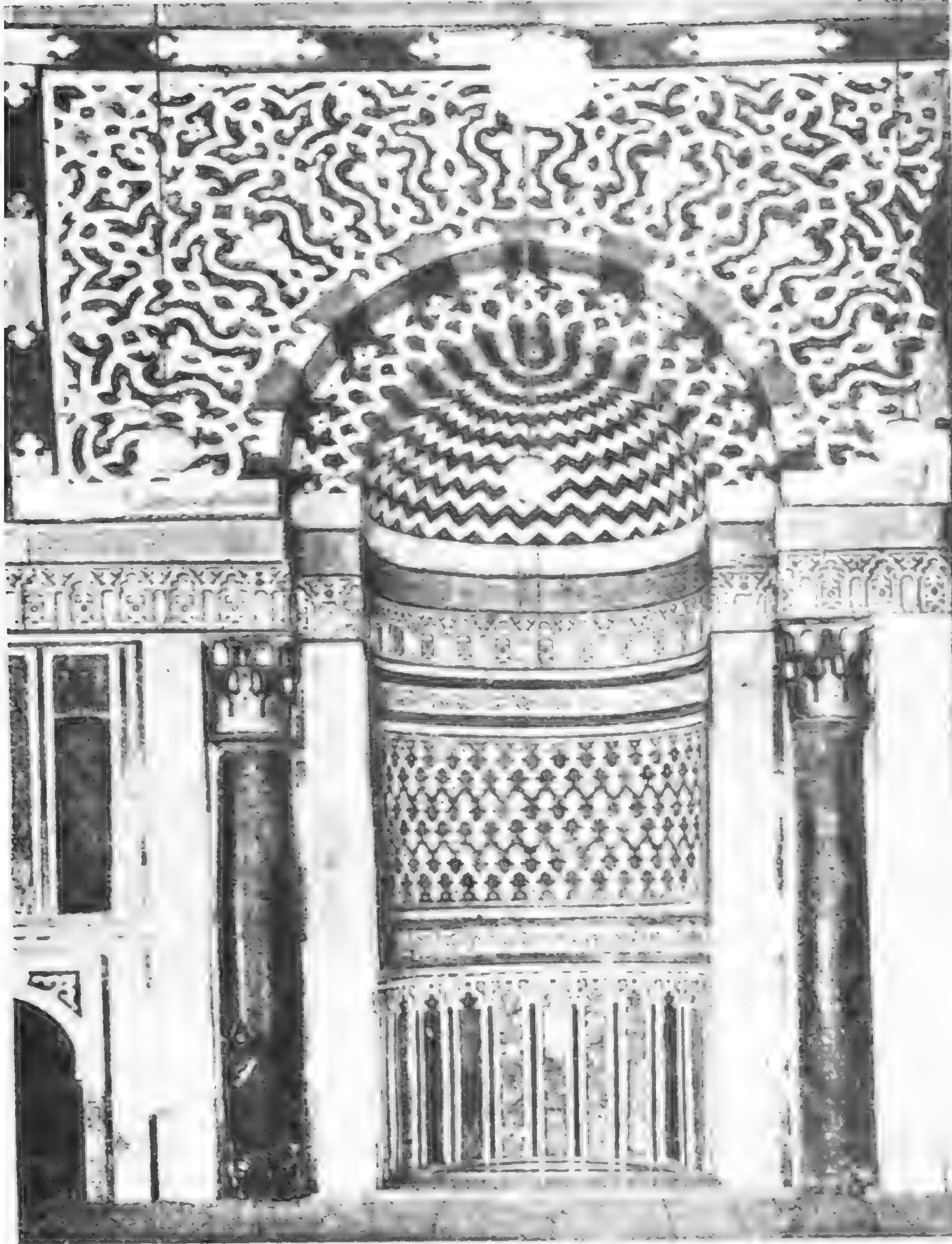
الشكل رقم (21)

محراب سلجوقي (شافعي، 1982)



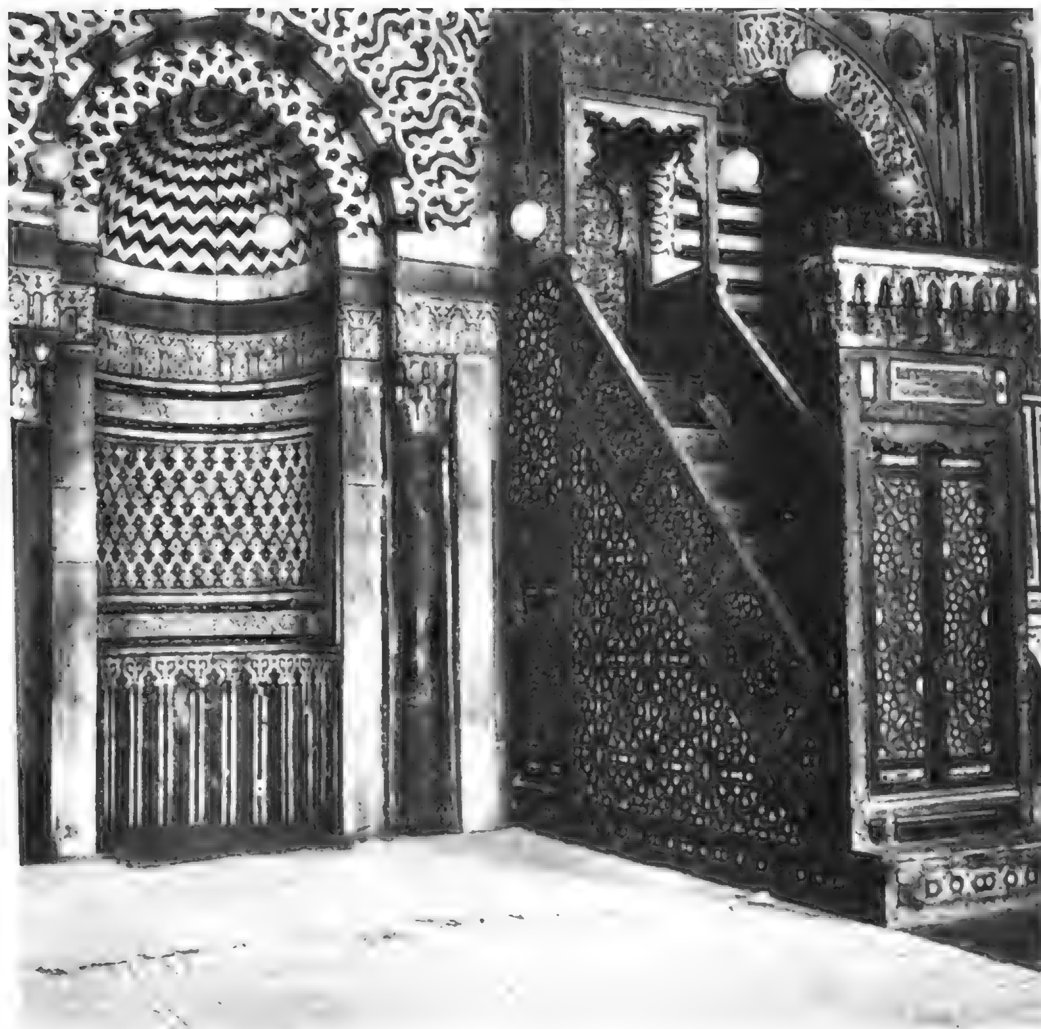
الشكل رقم (22)

محراب جامع السلطان المؤيد(لمعي، 1984)



الشكل رقم(23)

منبر جامع السلطان المؤيد (لمعي،1984)



الشكل رقم (24)

مد□ل جام□ السلطا□ ال□ا□ر بيبر □(لمعي، 1984)



الشكل رقم(25)

باب جامع السلطان حسن(عكاشة،1994)



الشكل رقم (26)

باب جامع السلطان المؤيد (عكاشة، 1994)



الشكل رقم(27)

مئذنة ضريح السلطان قلاوون (عكاشة، 1994)



الشكل رقم (28)

مئذنة جامع السلطان فرج(عكاشة،1994)



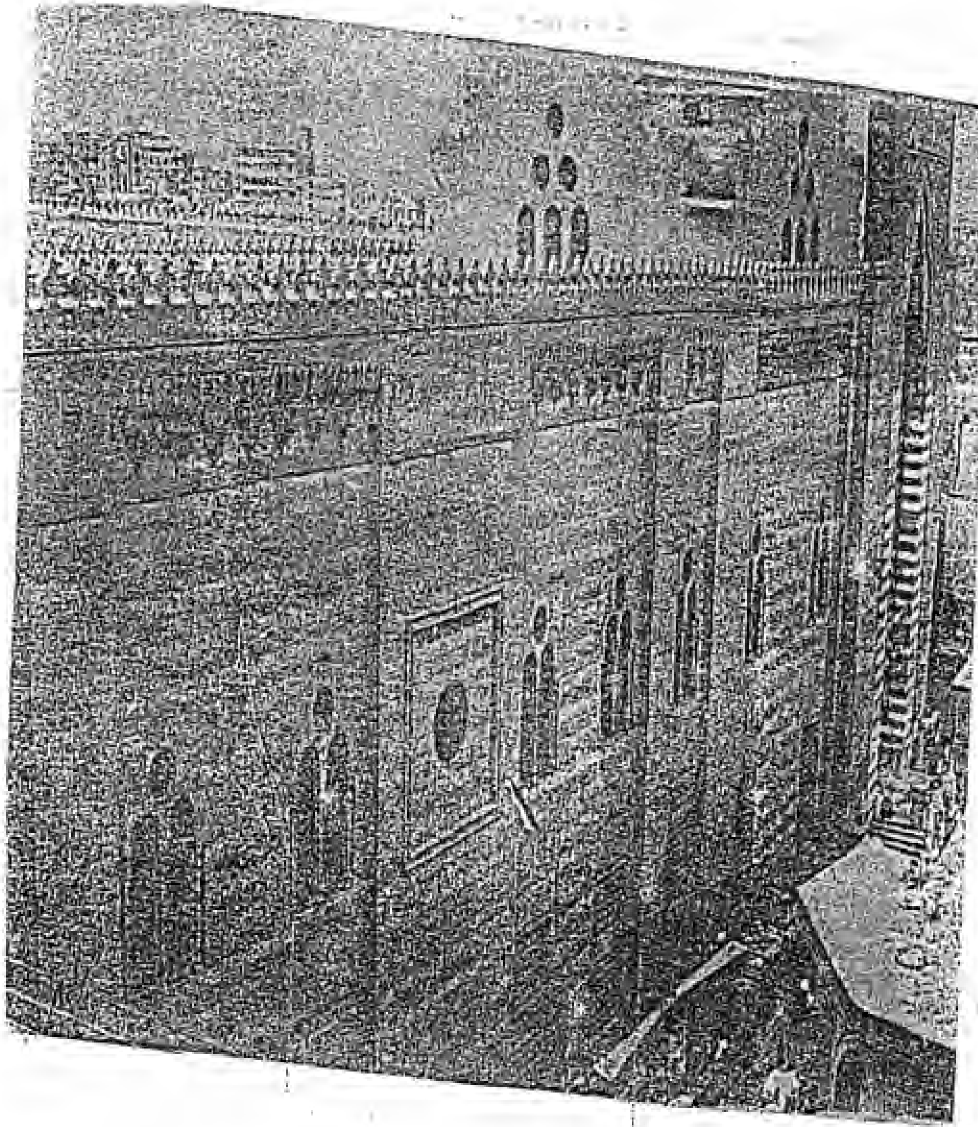
الشكل رقم (29)

مدخل خانقاة السلطان بيبرس(لمعي، 1984)



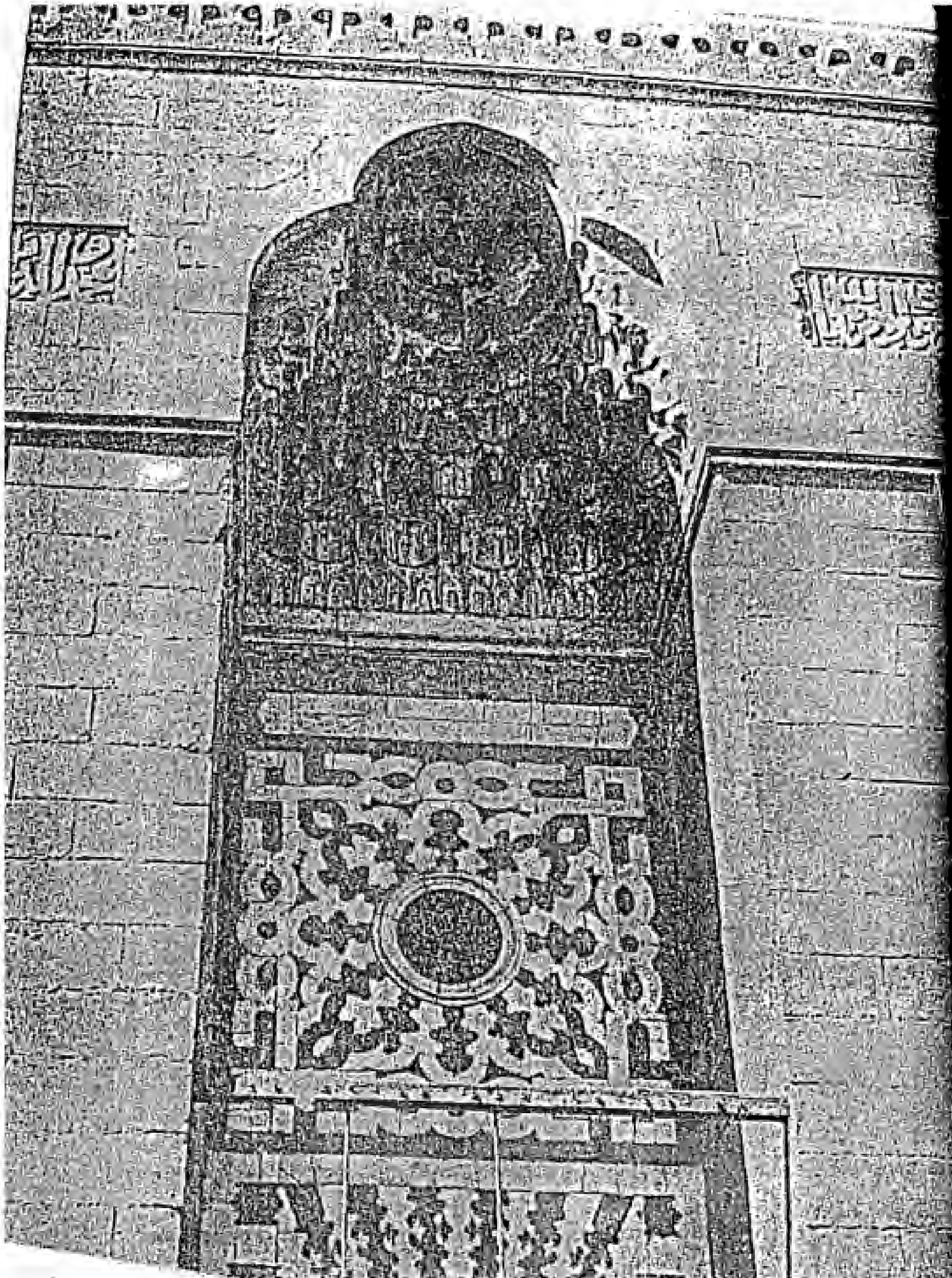
الشكل رقم (30)

واجهة مدخل جامع السلطان المؤيد (الباشا، 1990)



الشكل رقم (31)

مدخل مدرسة السلطان برقوق (الباشا، 1990)



الشكل رقم (32)

منظر عام لجامع ومدرسة السلطان حسن(عكاشة، 1994)



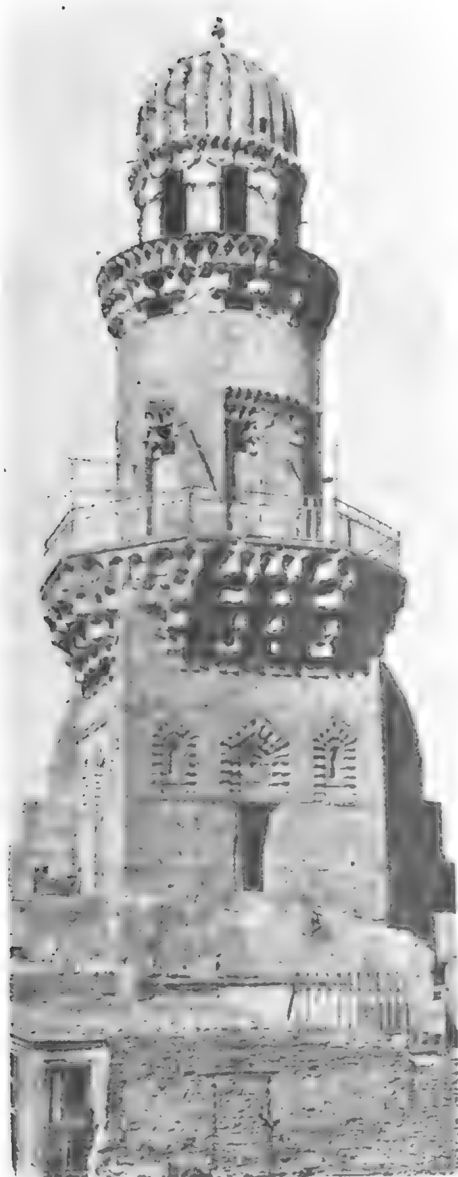
الشكل رقم(33)

مدرسة السلطان برقوق(لمعي،1984)



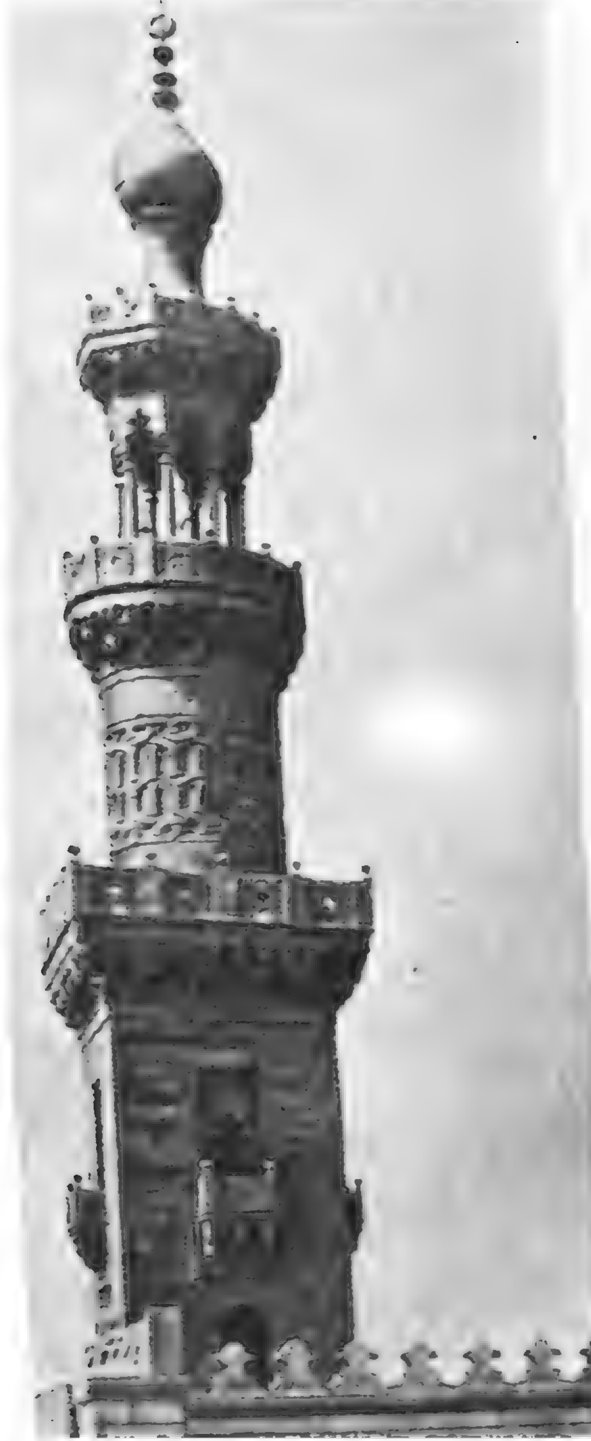
الشكل رقم (34)

مئذنة خانقاة السلطان بيبرس (لمعي، 1984)



الشكل (35)

مئذنة خانقاه السلطان فرج(لمعي، 1984)



الشكل (36)

قبة □انقا□ السلطا□ فر□(لمعي، 1984)



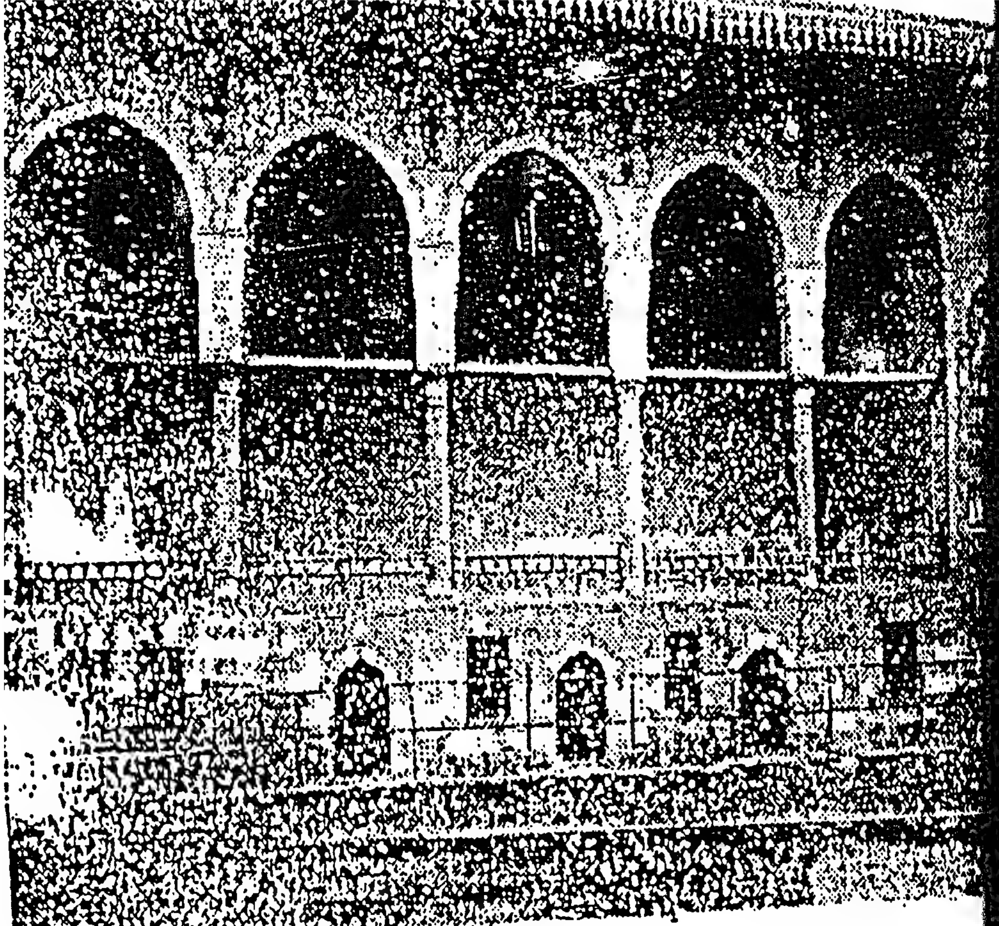
الشكل رقم(37)

سقف قصر ا�مير بشتا�(لمعي،1984)



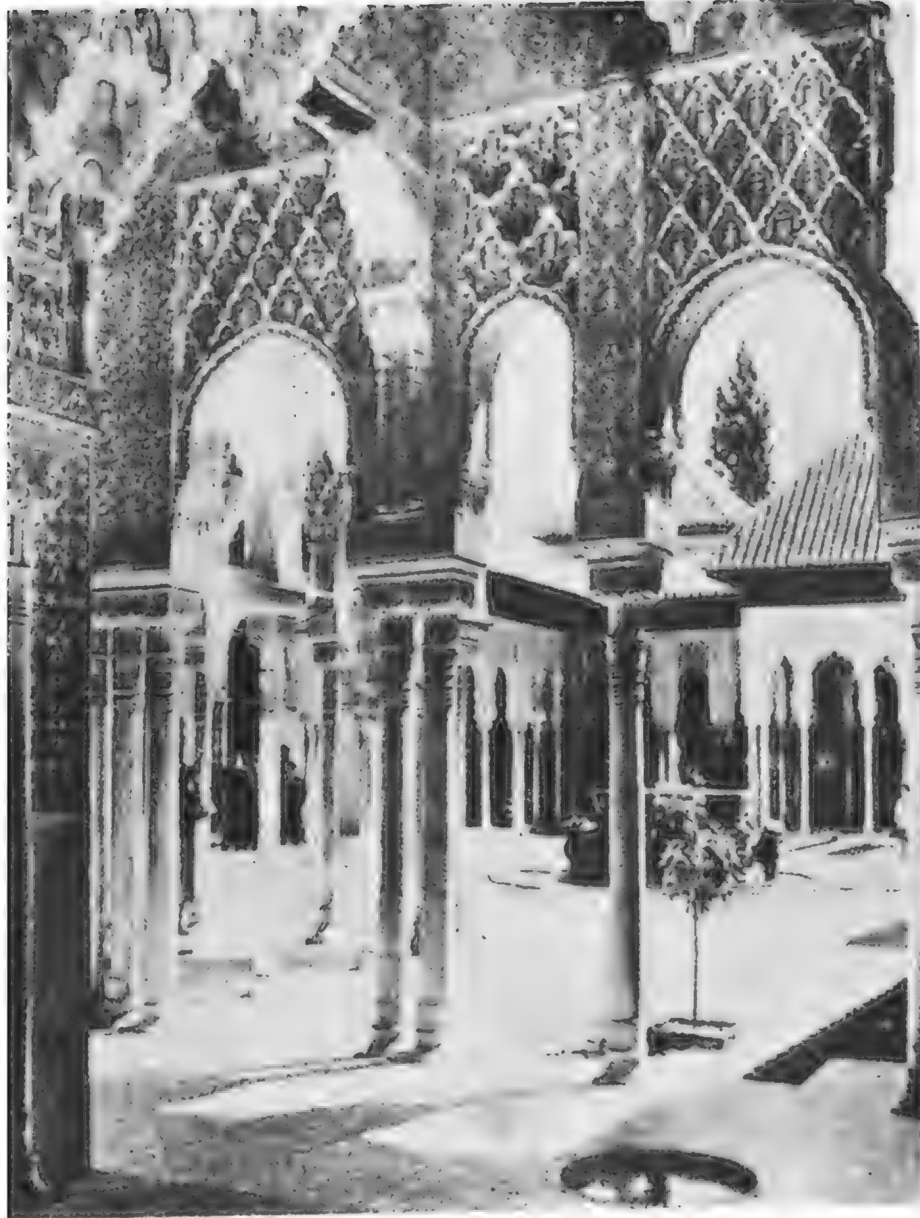
الشكل رقم(38)

مقعد ماماي السي□ي(حس□،1981)



الشكل رقم(39)

قصور الحمرا بهو السباع(Grabar,1973)



الشكل رقم(40)

وكالة السلطا□ ال□وري(لمعي،1984)



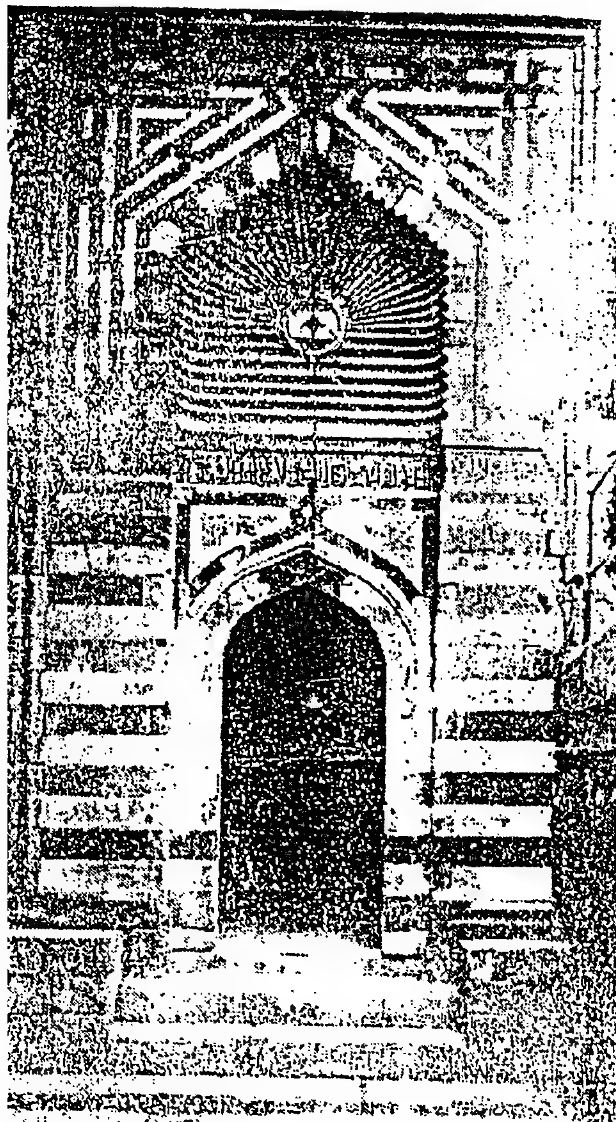
الشكل رقم(41)

وكالة السلطا قايتباي (لمعي،1984)



الشكل رقم(42)

مدخل حمام بشتاك (حسن،1981)



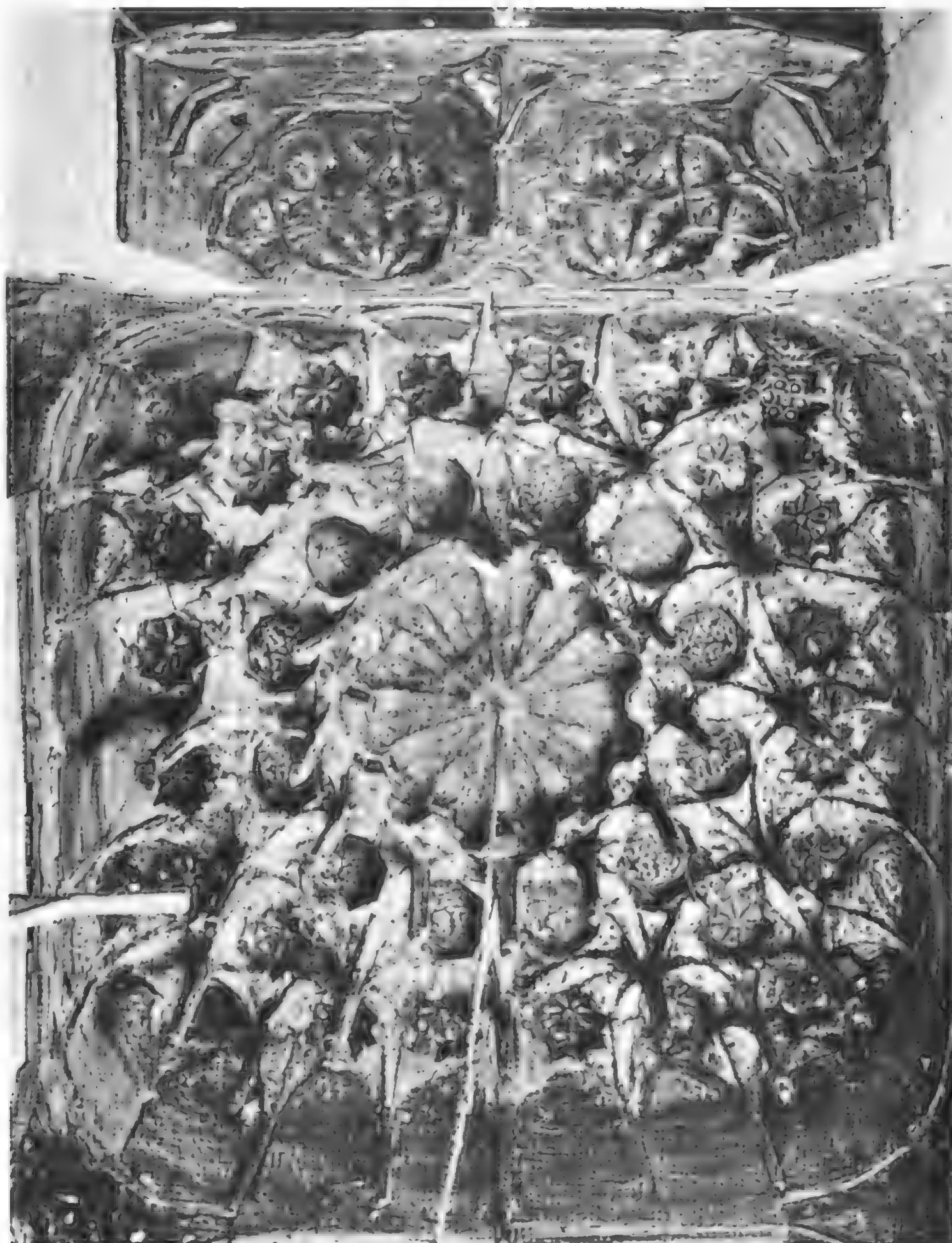
الشكل رقم(43)

حمام السلطان المؤيد(بيت الحرارة)(لمعي، 1984)



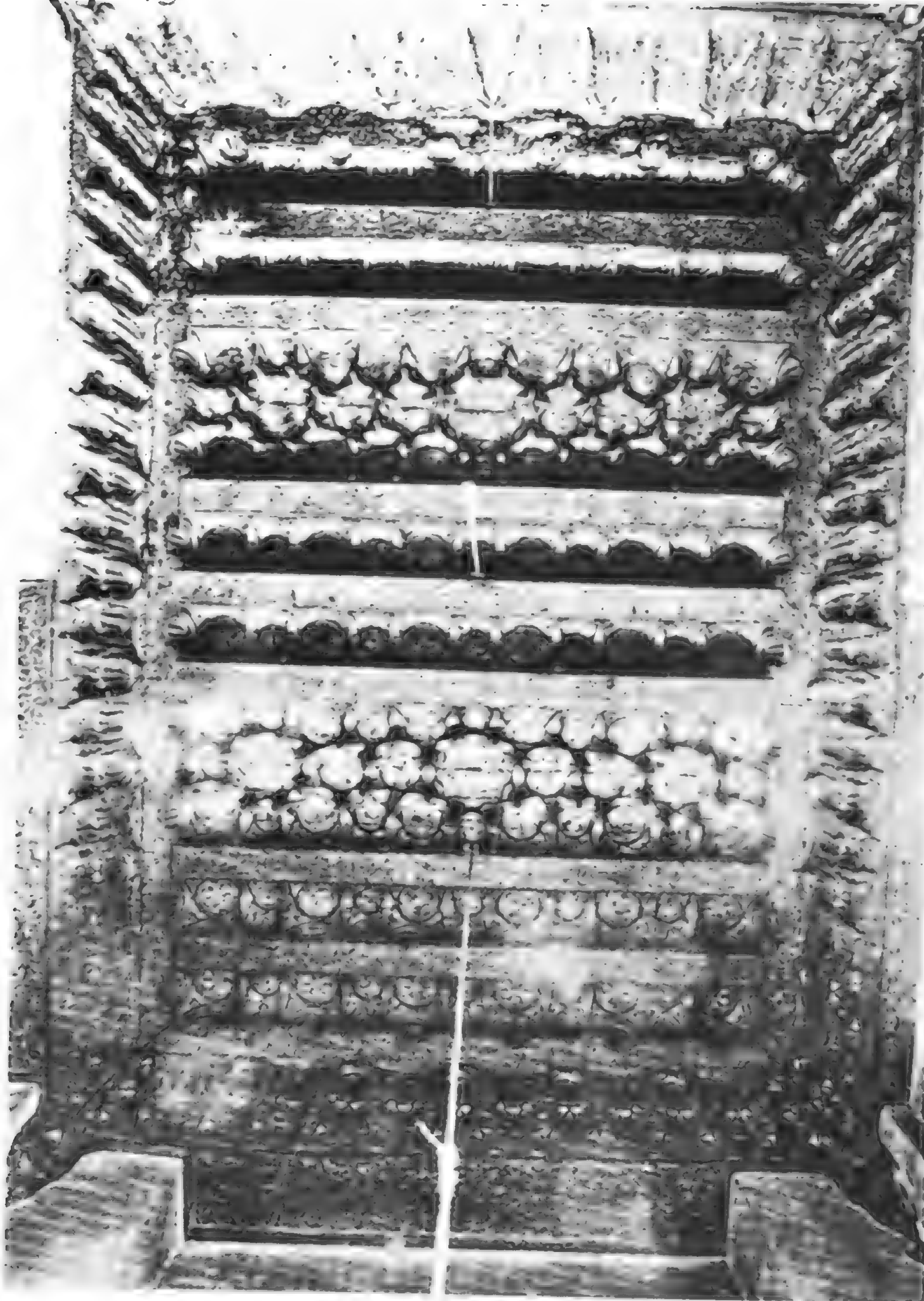
الشكل رقم(44)

سقف سبيل السلطا□ فر□ (لمعي، 1984)



الشكل رقم (45)

سقف السلطان الغوري (لمعي، 1984)



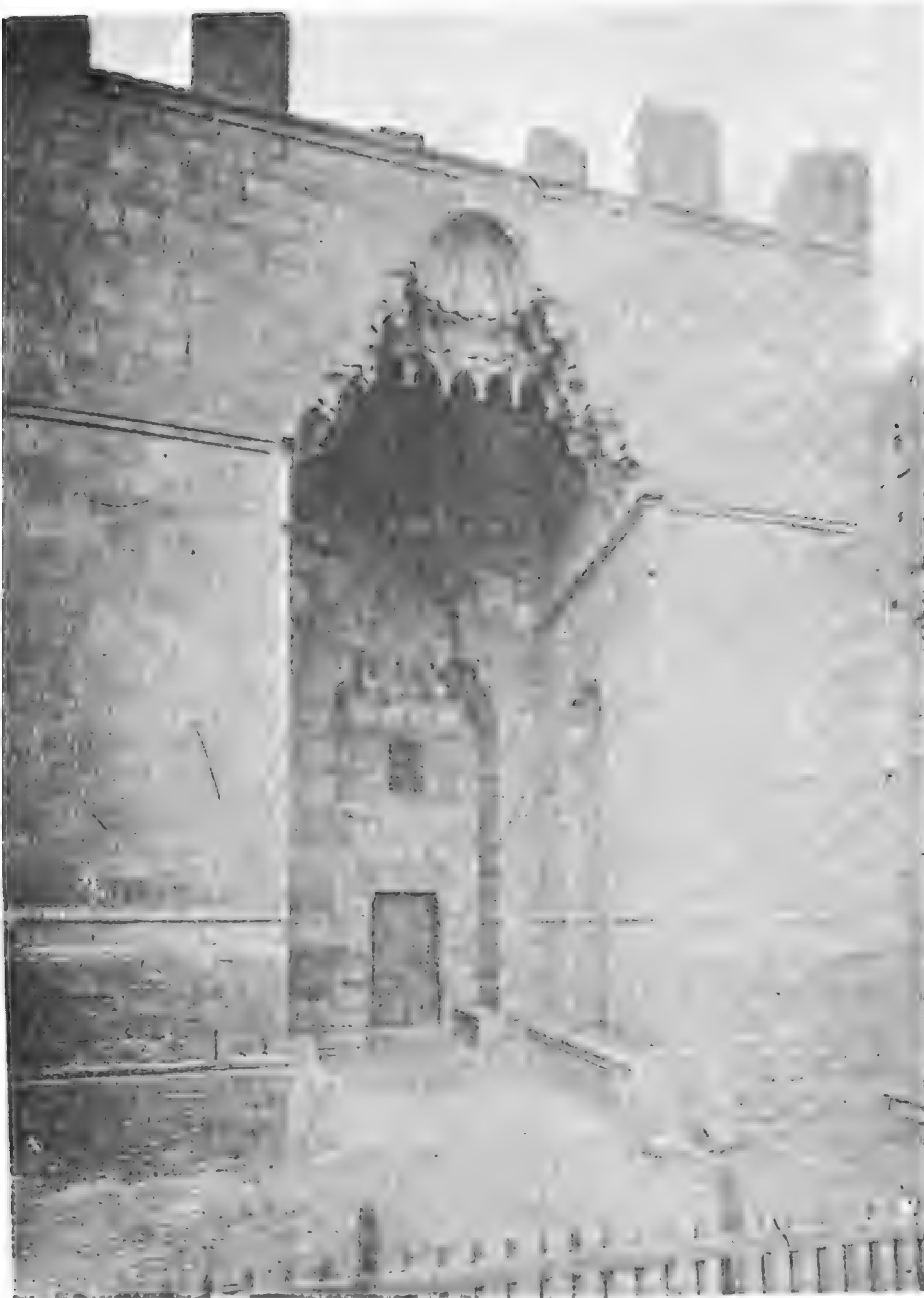
الشكل رقم(46)

بيمارستا السلطا المؤيد (لمعي،1984)



الشكل رقم (47)

مد□ل قصر ا□مير يشب□□ قوصو□□ (لمعي،1984)



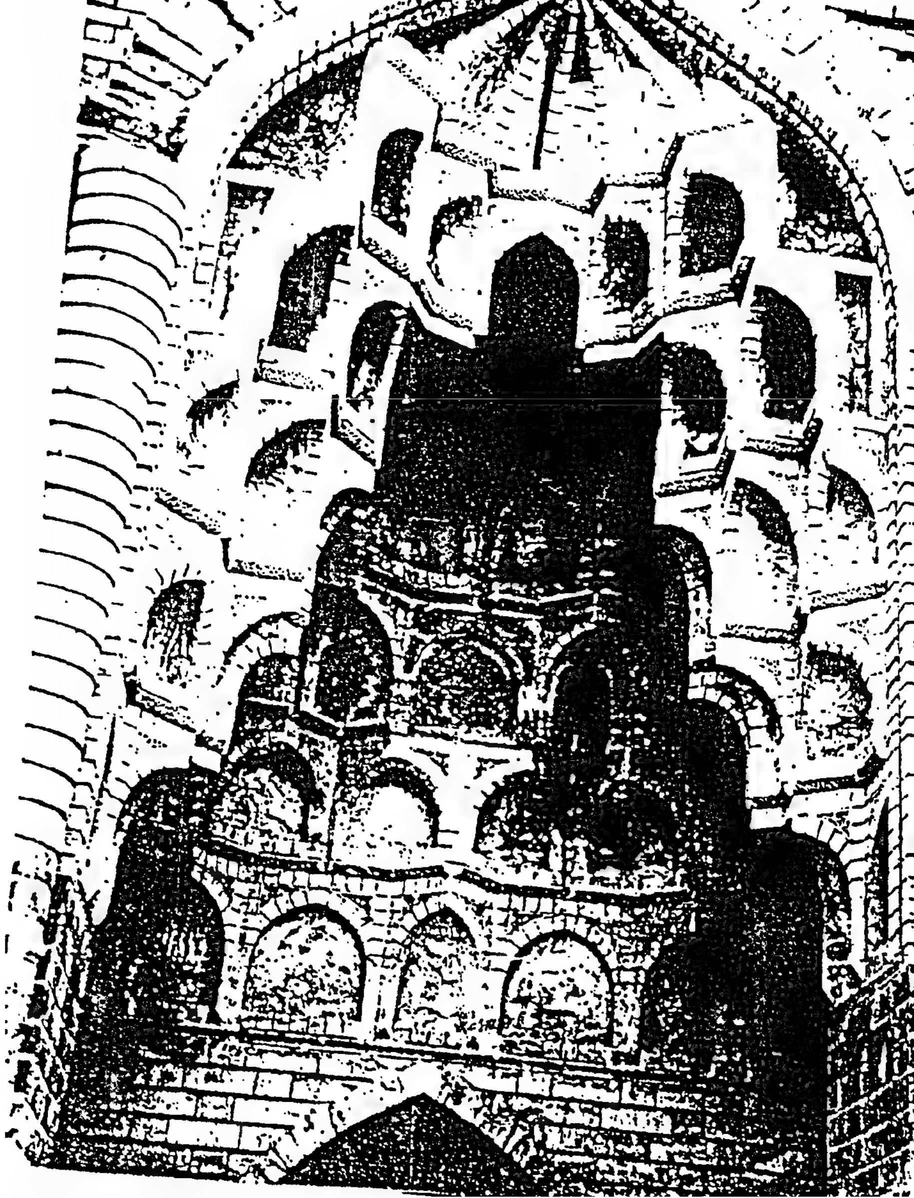
الشكل رقم (48)

منبر □انقا□ السلطا□ فر□ (لمعي،1984)



الشكل رقم (49)

مقرنص مركب (حسن، 1983)



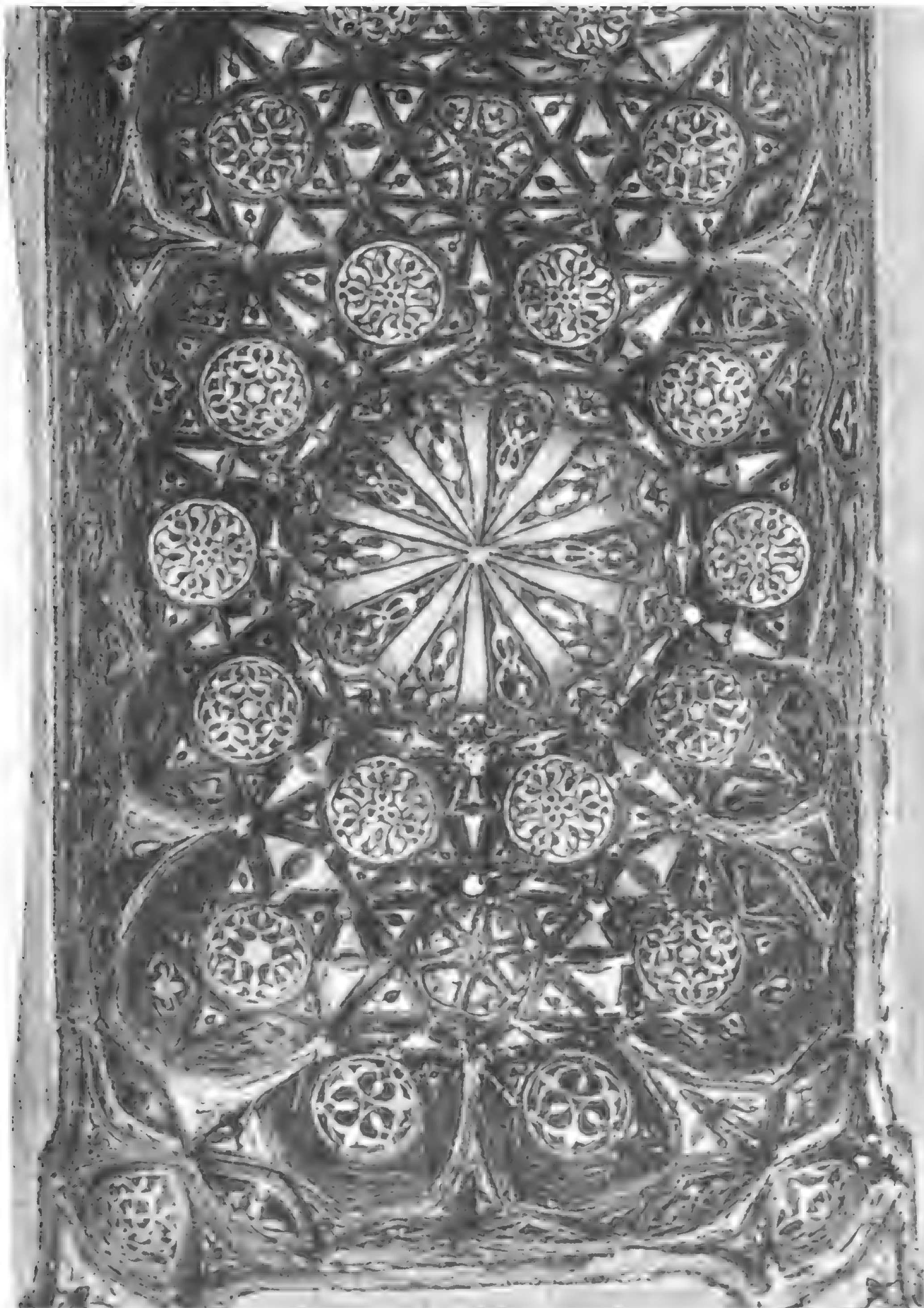
الشكل رقم(50)

سقف مدفن السلطان قلاوون (لمعي،1984)



الشكل رقم(51)

سقف مدرسة السلطان برقوق(لمعي، 1984)

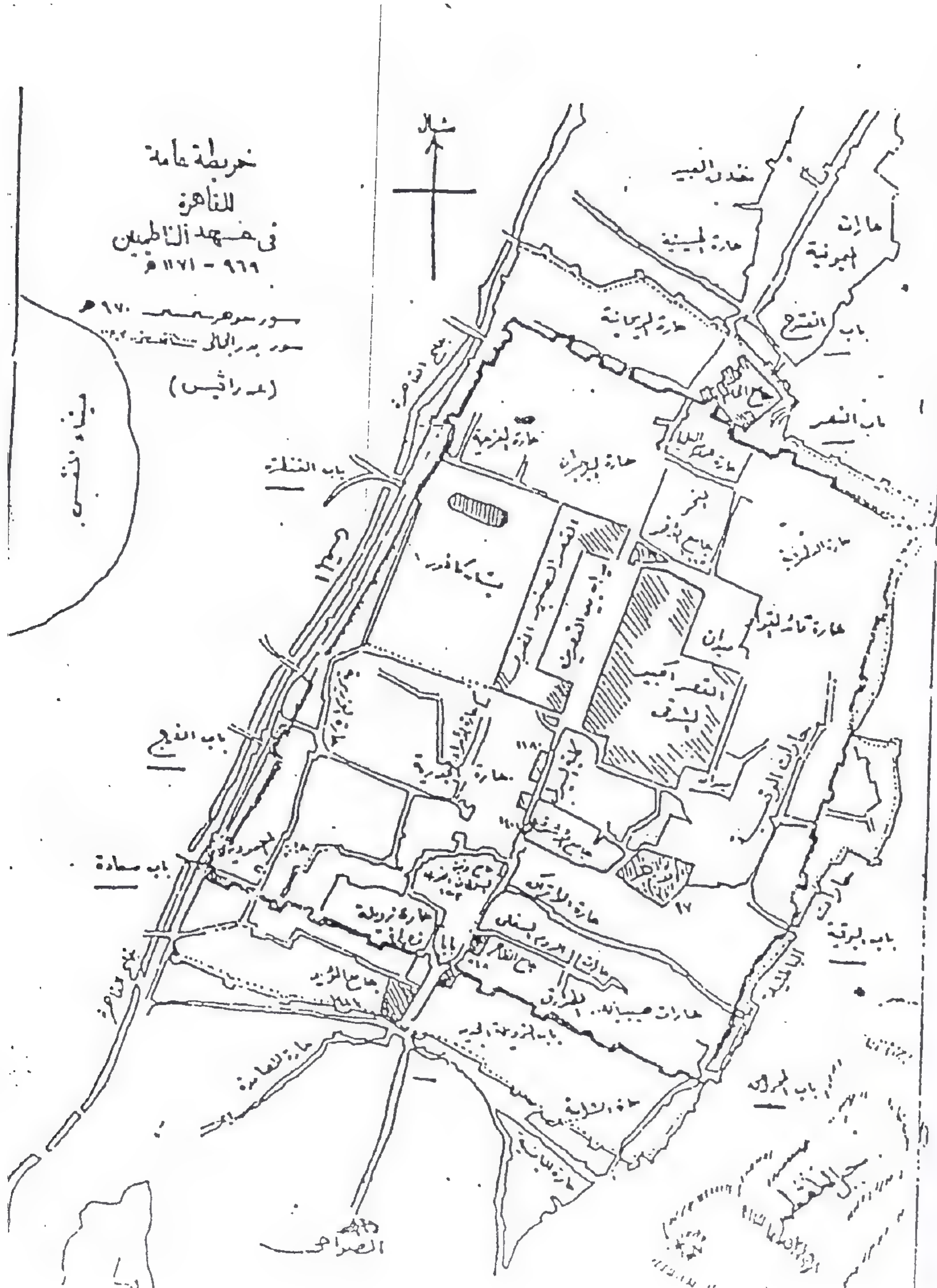


ملحق ([illegible])

الخرائط

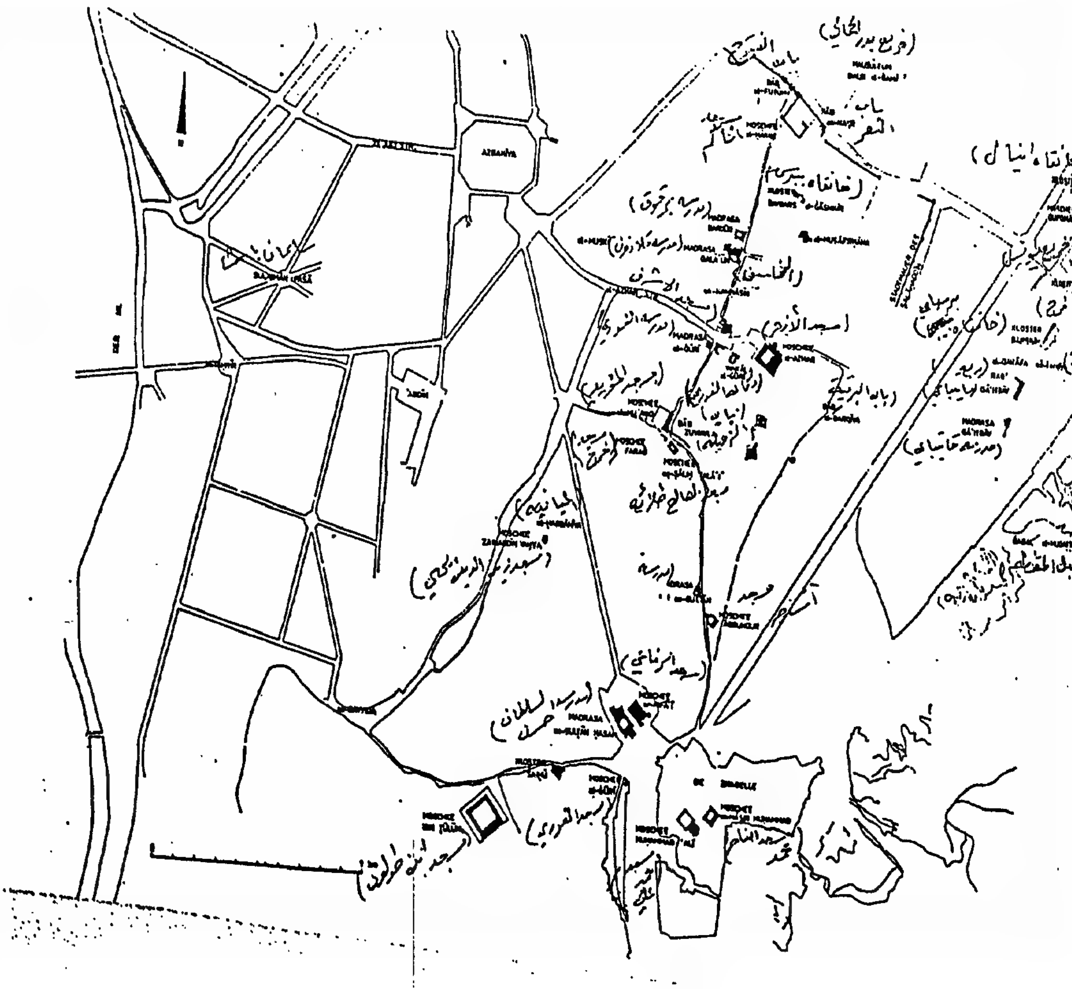
خريطة رقم (1)

مدينة القاهرة في العصر الفاطمي(سامح،1982)



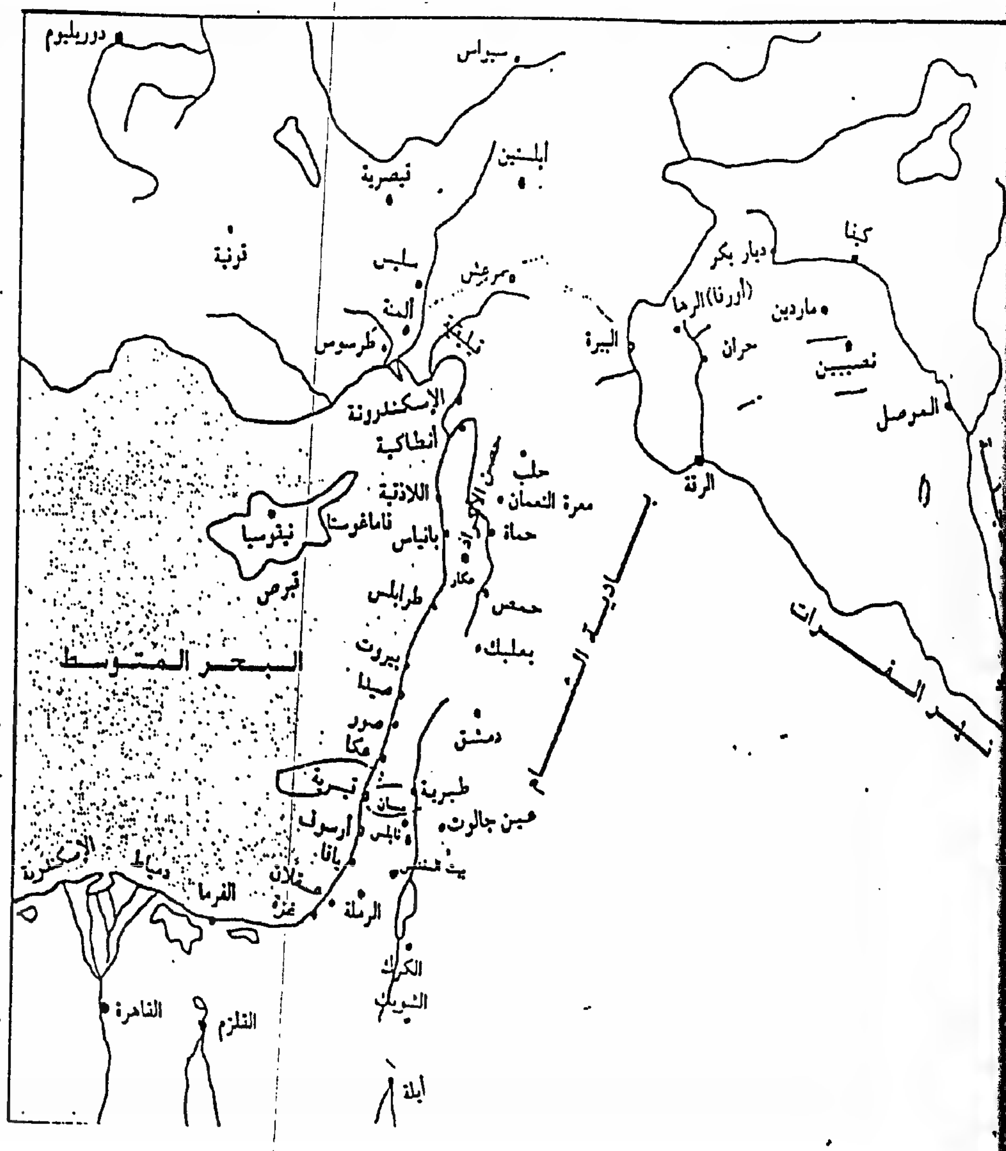
خريطة رقم (2)

مدينة القاهرة في العصر المملوكي(لمعي،1984)



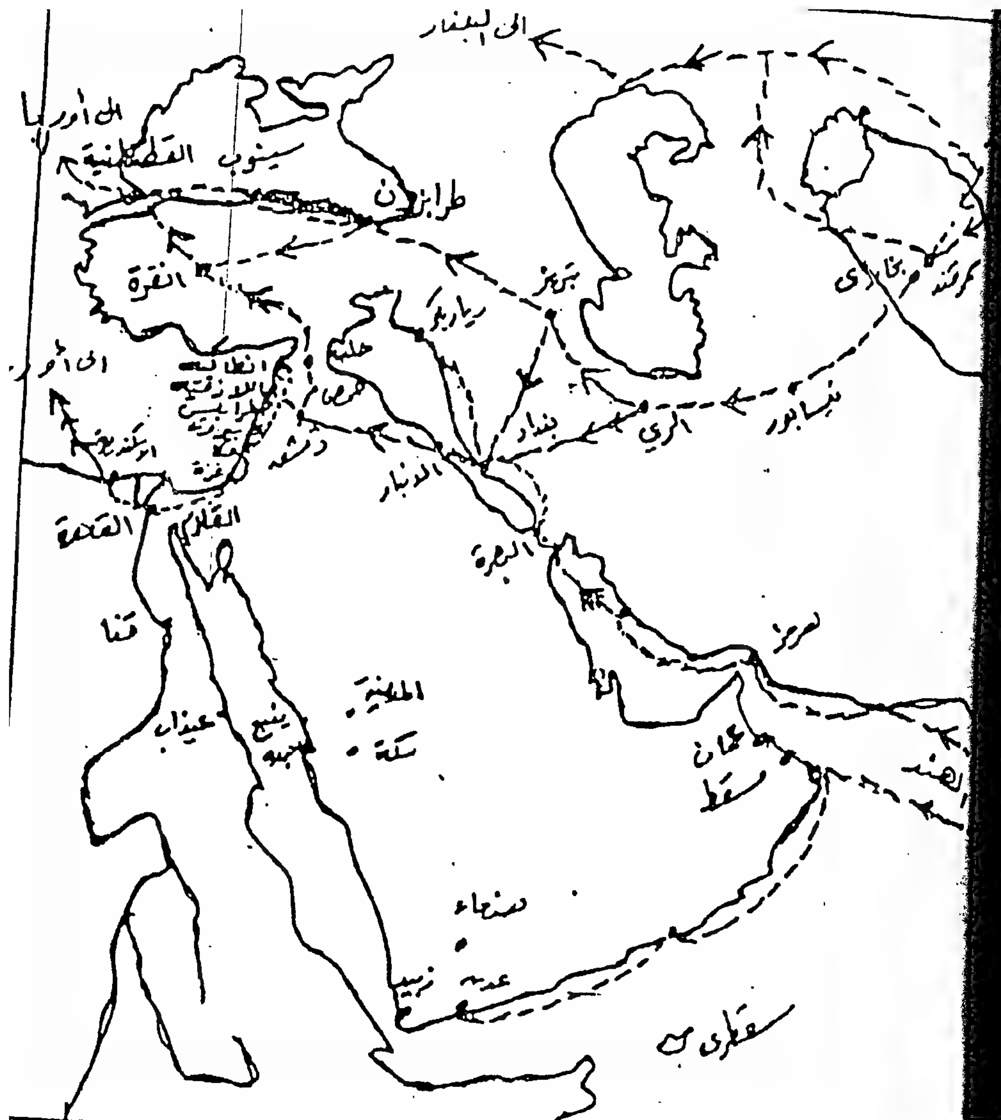
خريطة رقم (3)

دولة المماليك (طقوش، 1997)



خريطة رقم(4)

الطرق التجارية في العصر المملوكي (□يتو□،2001)



الشكل رقم(5)

□سيا في العصر المملوكي (□يتو□،2001)

ملحق (د)

المخططات

مخطط رقم (1)

قصير عمرة (سامح،1982)

م□طط رقم (2)

قصر ا□□ي □ر(سام□،1982)

